ISSN 2305-591X

عدد خاص

# ينابيع
Yanabee'a

مؤسسة الحكمة الثقافة الإسلامية

٤٨

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بنَشرِ فِكرِ أَهلِ البَيتعليهم السلام/ السّنة ١٠/ العَدَد ٤٨ المحرم الحرام ـ صفر ١٤٣٤هـ/ تشرين٢ ـ كانون١ ٢٠١٢م

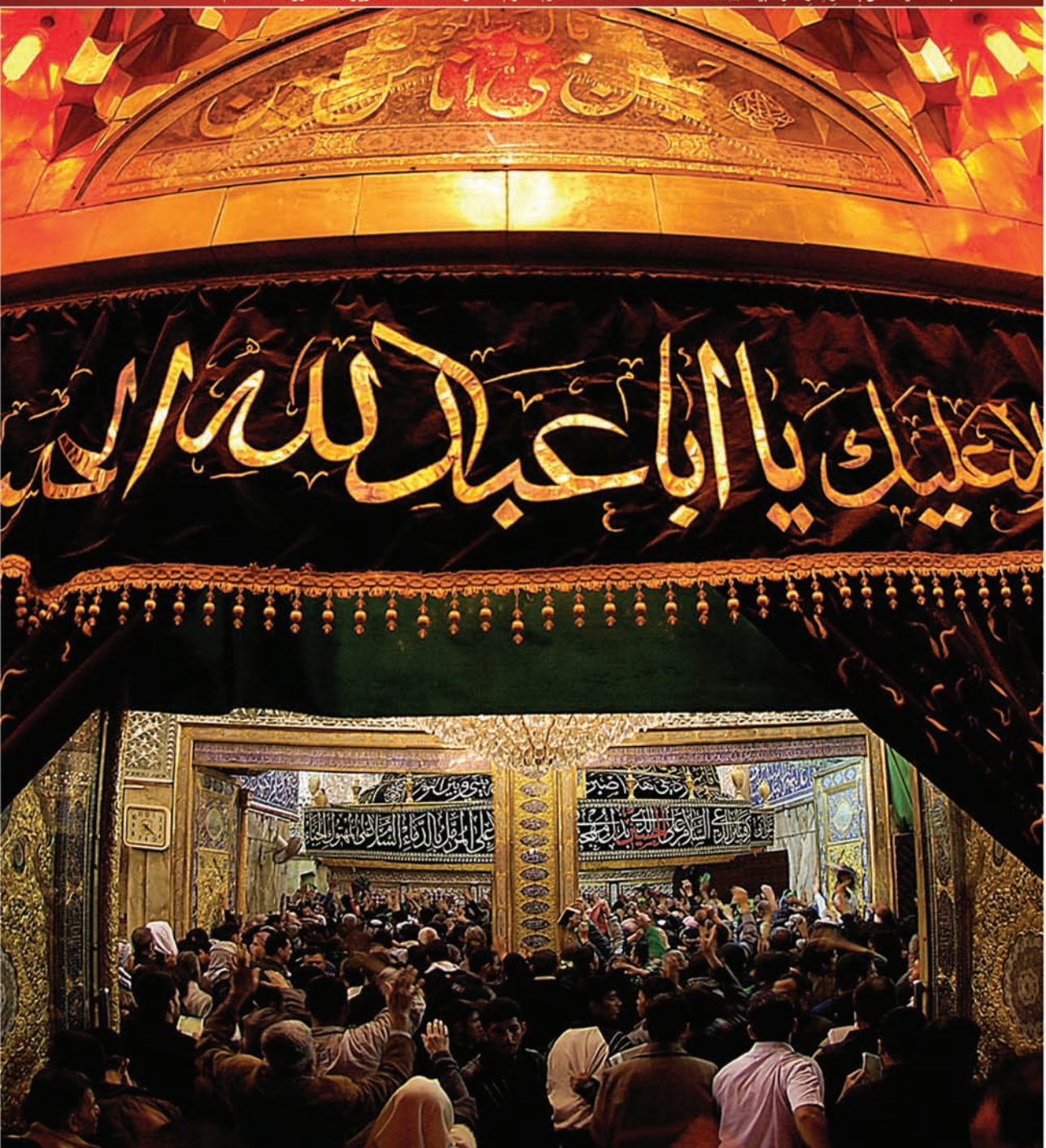

Yanabee'a

# ينابيع ٤٨

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959


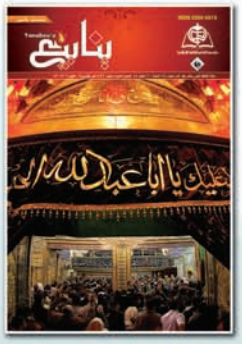


عدد خاص:

**المشرف العام**
السيد عبد الحسين القاضي

**رئيس التحرير**
فلاح حسن علي العلي

**مدير التحرير**
حيدر الجد

**التدقيق ومراجعة النصوص**
ضياء حسن

**التصميم والإخراج الفني**
وسام مسلم المظفر
علي جياد حسن

**تصميم الغلاف**
مقداد عبد الزهرة الخطاط

**التنضيد الإلكتروني**
محسن جاسم العبدلي
ميثم عبد علي الزاملي



**العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد**

**العنوان الإلكتروني:** www.Yanabee.org

**البريد الإلكتروني:** Yanabee_Mag@Ymail.com

**ص.ب (٥٥٠)** **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥



أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

**الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف**

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ٢٠٠٥/١١/١٦ م


- المقالات تعبر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواءً نشرت أم لم تنشر.

## قصيدة:

# أبا الشهداء عليه السلام *..

المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي •

ناجيتُ ذِكْراكَ حتى عَطْرَتْ كَلِمي ... كأَنَّ ذكراكَ قُرآنٌ جرى بفمي
وهزَّني لكَ من أرضِ الحِمى وترٌ ... جَسَّ العواطفَ في ضَرْبٍ من النَغَمِ
قد أَرقصَ القلبَ حتى خِلْتُهُ حَبَبًا ... على كُؤوسِ الولا يطفو من الضُرَمِ
فَرُحْتُ ألثُمُ مثوًى فيهِ قد عَكَفَتْ ... رُوحُ البطولةِ والإقدامِ والشَمَمِ
قبلتُهُ بفمي حتى أَسَلْتُ بهِ ... قلبي فَضَرَّجْتَهُ من أدمعي ودمي
يا مَصرعَ الشمسِ حَدِّثْنا فأنتَ فَمٌ ... يُجيدُ تَمثيلَ فَصْلِ الحُزْنِ والأَلمِ
عن نهضةٍ في سبيلِ العدلِ، عاصفةٍ ... طَغَتْ على الظُلْمِ في سَيْلٍ منَ الحُمَمِ
وفاتحٌ مَلأَ الدُنيا بنهضتهِ ... وقائعا من صَداها الدَهْرُ في صَمَمِ
في كُلِّ جيلٍ لَهُ جُنْدٌ يَصولُ بهِ ... من العقائدِ أمضى من شَبا الخُذَمِ
وكُلِّ أرضٍ، بها فَتْحٌ، نُمجِدُهُ ... في مهرجانٍ ليومِ النصرِ مُبتسِمِ
أبا الفخارِ وأكرم بالحسين أباً ... يُنمى له الفخر من طيب ومن كرمِ
تَضَوَّعَ المجدُ من عَلياكَ في شِيَمٍ ... عَبَاقَةٍ بأريجِ المجدِ والشيَمِ
وكُرِّمَ الحَقُ إذْ تَوَجْتَ مَفْرِقَهُ ... من الجهادِ بإكليلِ الدِّما السُجُمِ
ومجدت تضحيات منك خالدة ... أنقذت دين الهدى فيها من العدمِ
بسيد الشهداء السبط قد ختمت ... مجدًا كما بدأت في سيد الأممِ
رمز البطولة قد أُوتيت من عظم ... مواهبًا هي رمز النبل والعظمِ
نفسًا مقدسة بالخير ملهمة ... ما طاف فيها خيال الشر في حلمِ
قلبًا عصوفًا من الإيمان ملتهبًا ... من حجرة الحق وثابًا من الهممِ

عقيدة هي مجد قد هدمت به ... من الظلال كيانًا غير منهدمِ
وللعقيدة في دنيا الجهاد يد ... تبنى بها نهضات السيف والقلمِ
يا منقذ الدين حقًا وابن منقذه ... وباعث الروح روح الحق في الرممِ
أبصرت جرحًا بقلب الدين منفجرًا ... قد أحكموه لقلب الدين والنظمِ
أعيى الأُساة ضماداً فانبريت له ... وقد خُلقت له من عالم الرحمِ
ضمدته بنجيع القلب فالتأمت ... منه الجراح بجرح غير ملتئمِ
ضحيت نفسك للإسلام منتصرًا ... حتى قضيت بحد الصارم الخذمِ
هويت والحق من عينيك منبعث ... نورًا وفي شفتيك الصدق كالضرمِ
وفي محياك من نور الهدى وضح ... يموج فوق جبين سابح بدمِ
وأنت ثاو على جمر الصعيد ضحى ... مكللًا بالقنا كالليث في الأجمِ
وللفواطم أفواه... محرقة ... من الأسى وقلوب في يد السقمِ
كأنما هي أوتار وأجنحة ... تعج شجوًا وتهفو من مدى الألمِ

**العباس عليه السلام:**

تراقصت صافنات الشهب من طرب ... لموكب بأباة الضيم مزدحمِ
ورفرفت عذبات الحق خافقة ... على جبين بنور الحق متسمِ
وكبر المجد مزهوًا بطالعه ... يرنو إلى طلعة (العباس) من أممِ
شبل العفرنى وما في الليث من شمم ... فيه وفي الفرع ما في الأصل من شممِ
مجد الشهادة أضحى يزدهي عظمًا ... بمجده وهو مطروح إلى العلمِ
أهوى ابن حيدر فالأبصار شاخصة ... ترنو إلى علم ملقى إلى علمِ

**علي الأكبر عليه السلام:**

تألقت بسمات الحق مشرقة ... عن مبسم بمثار النقع ملتثمِ
وروعت حلبات السبق فاعتصمت ... بأروع بالإبا والعز معتصمِ
مفوه صهوات الشهب منبره ... وأرؤس الصيد منثور من الكلمِ
قد صير الأرض بحرًا من دم فغدت ... تجري المذاكي على هضب من اللممِ
مجاهد في سبيل الله ضرجه ... دم الشهادة من قرن إلى قدمِ
ينمى الفخار إليه وهو من كرم ... إلى (الحسين) بأعراق الفخار نمي
شبيه ( أحمد ) في خلق وفي خلق ... ومنطق هو ينبوع من الحكمِ

**القاسم عليه السلام:**

طلائع العيد عيد النحر قد رقصت ... أفراحها لذبيح الأشهر الحرمِ
لباسم الثغر والأفواه كالحة ... وقاسم الهام في عضب من الهممِ
غض الشبيه مزهو بوفرته ... مخضب بدم الأوادج لا العنمِ
يُزف للخلد والأحلام موكبه ... على سرير من الآهات مضطرمِ
متوجًا بعقود البيض مفرقة ... موشحًا بنثار الأدمع السجمِ
وديعة ( الحسن ) الزاكي وقد ذهبت ... ضحية الغدر في قوم بلا ذممِ

## الشهداء:

عرائس القبة الزرقا لك ابتسمت ... من الصعيد ثغور المجد فابتسمي
ولاطفي نفحات القدس عابقة ... من الضحايا على الأزهار والأكم
وضرجي صفحات الأفق في شفق ... بالنور من شهداء الحق منسجم
وقبلي بفم التمجيد حانية ... مباسمًا بين منثور ومنتظم
وصافحي أنجما للعدل عائمة ... في زخار من دم الأحرار ملتطم
تناثرت في صعيد المجد فالتقطت ... منها الأماني ثغور المجد والكرم
بني أمية لادرت بوابلها ... منكم على جدث هطالة الديم
سودتمو صفحة التاريخ في حدث ... كالليل في وضح التاريخ مرتسم
أبحتمو من ضحايا الحق حرمتها ... فضرجت بالدما في الاشهر الحرم
وما رعيتم ذمام المصطفى كرمًا ... باسم المودة من قربى ومن رحم
لقد جنيتم على الإسلام في بدع ... قد سنها كل أفاك ومجترم
من لاحق مزق القرآن في يده ... وسابق أحرق الأستار في الحرم
خليفة مغرم باللهو من طرب ... مولع بكلاب الصيد من نهم
في حانة الخمر طول الدهر معتكف ... قد أغرقت نفسه اللذات في حلم
ثغر يقبل ثغر الكأس منعطفًا ... عليه من شغف فيه فَماً لفم
يجود بالعقل للصهباء من كرم ... ويستعيض عن القرآن بالنغم
هذا يزيد فهل للدين من صلة ... في ملحد هو من عبادة الصنم
فكيف أعطت يد الإسلام مقودها ... لفاجر بأمور الدين محتكم
أبا الشهيد أبى مجد خلقت له ... غير الخلود لمجد الحق من قسم
ولى يزيد وما أبقت فظائعه ... غير المخازي له من سالف القدم
وقد تلاشت سرابًا من معاوية ... آماله فوق ضحضاح من الندم
وأنت أنت أبو الأمجاد من ختمت ... دنيا المفاخر فيه خير مختتم

---

(*) ألقيت هذه القصيدة في جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف في الاحتفال الذي أقامته الرابطة لذكرى سيد الشهداء في عاشوراء عام ١٣٧١هـ/١٩٥٢م. (وقد نقلناها حرفيا كما وردت في ديوان المرحوم الشاعر).

# ينابيع

## مُحتَوياتُ العَدَد (عدد خاص)

ص ١٢

ص ٦٨

ص ٣٤

ص ٨٦


**كلمة العدد**

إقامة الشعائر.. حق مشروع

المشرف العـام ..... ١٠

**العدد الخاص**

كتاب (فاجعة الطف) للسيد الحكيم(مدّظله) قراءة تحليلية

أ. م. د. محمد محمود زوين ..... ١٢

الإمام الحسين امتداد لرسالة جده الإصلاحية

د. خليل خلف شـبر ..... ٢٨

قبس من آثار النهضة الحسينية

م. فارس عطية محمـد ..... ٣٤

الإمام الحسين في الكتابات والدراسات الغربية

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي ..... ٣٨

يـصـح الوجهـــان

ضيـاء حسـن ..... ٤٦

قصيدة السيد صادق الفحام.. نص وتحليل

د. حسـن الخاقاني ..... ٥٤

المنهج التوحيدي في النهضة الحسينية

إحسان العارضي ..... ٦٢

تداعيات الترسيم المعرفي للشخصية التاريخية

السـيد محمد علي الحلو ..... ٦٨

رابطة المنبر.. عرض أم جوهر؟!

موفق السيد حمزة الماجد ..... ٧٤

شرعنة الإصلاح في الثورة الحسينية

م. م. حسنين جابر الحلو ..... ٨٢

الإمام الحسين وثقافة العصر

أ. م. د. حيدر كريم الجمالي ..... ٨٦

زينب سفيرة النهضة

محمد علي جعفر حسين ..... ٩٠

الأحاديث الفنية عند العباس بن علي

د. عبد الإله العرداوي ..... ٩٤

ثقافتان مختلفتان

عماد الديب ..... ١٠٠

الإمام الحسين في سنن الترمذي

السيد أحمد نوري الحكيم ..... ١٠٢

هل كان زهير بن القين عثمانيّ الهوى؟!

محمد جعفر صادق القاضي ..... ١٠٦

حدث في مثل هذا الشهر ..... ٥٢

مسابقة العدد (٤٨) ..... ١١٣

ص ٧٤

ص ٩٤

ص ١٠٠

ص ٦٢

# كلمة العدد

## إقامة الشعائر..
## حق مشروع

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتاد شيعة أهل البيت عليهم السلام في استقبال شهر المحرّم الحرام على ممارسة الشعائر الحسينية تعبيراً عن ولائهم وارتباطهم بسيد الشهداء الذي هو امتداد للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورسالته السماوية التي شاء الله تعالى لها البقاء ما بقيت الدنيا.

وقد اختلفت الممارسات الشريفة التي يقوم بها الشيعة في مختلف أصقاع المعمورة لاختلاف الأشخاص الذين يمتلكون العواطف الجياشة، محاولين إبداء ما يشعرون به من التألم والتفجع لهذه المصيبة العظيمة، فمن لادم على صدره ورأسه .. إلى باك ونائح.. إلى متوشح بالسواد حزناً وألماً.. إلى مدم رأسه وظهره بالآلات الجارحة.. إلى راث يرثيه صباحاً ومساءً في نفسه أو بين أهله، أو مستعيناً بمكبرات الصوت التي تملأ أرجاء السماء صراخاً وعويلاً على مصيبة الحسين عليه السلام... إلى غير ذلك من الممارسات التي يشاهدها الزائر للمدن الشيعية في شهر المحرّم الحرام، التي تقلب الأحوال الطبيعية التي يعيشها أهل البلد في الأيام العادية، حتى يخيّل له أن الكل فاقد لعزيز. كل ذلك إصراراً منهم على إحياء هذه المناسبة الأليمة، وعدم نسيانها على مر السنين الطويلة وبُعد العهد، حتى قال شاعرهم:

**كذب الموت فالحسين مخلد**
**كلما أخلق الزمان تجدد**

وفي زماننا تعدى ذلك ـ كما تقتضيه طبيعة الحرية التي يتمتع بها شيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق اليوم، إضافة إلى الأغلبية الشيعية في غالب المحافظات ـ إلى عقد مجالس ومآتم في الأماكن العامة مستغلين الوقت والزمان فربما تشهد بعض الجامعات الأكاديمية عقد مآتم حسينية في الأوقات الخالية من الدوام الرسمي، بل ربما تعلق بعض الشعارات الحقة على جدران أبنيتها تعبيراً عن الولاء والحب لآل النبي صلى الله عليه وآله، كما قد تشهد بعض الوحدات العسكرية بعض الممارسات الحسينية، كاللطميات ومجالس العزاء على سيد الشهداء تعبيراً عن التفجع والتألم المستولي على نفوس المؤمنين وفقهم الله، محاولين إبداءه بأي شكل من الإشكال. ونظير ذلك ما تشهده بعض الدوائر الرسمية من التوشح بالسواد وعقد المآتم في داخلها وغير ذلك.

وتعتبر هذه الممارسات دعوة إلى الحق ونبذاً للباطل، وتؤكد على الارتباط بالمبادئ العليا التي جاء بها الإسلام العظيم، وتنبه إلى الانحراف الذي حصل منذ كان الإسلام في مهده، رغم الجهود الكبيرة التي بذلها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وما لاقاه من المشركين وعبدة الأوثان من أجل ضمان ديمومة الدين الذي جاء به، بل تساهم ـ هذه الشعائر المقدسة ـ بالدعوة إلى دين الله تعالى، وتشترك مع جهود النبي صلى الله عليه وآله في منبر التبليغ الإسلامي الحق.

بل تعتبر من أهم الشعائر الدينية التي يقوم بها المؤمنون في وضعهم الحياتي اليومي، فإن المشتركات الدينية وإن كان لها التأثير الكبير على الصعيد العام وإعلاء كلمة الإسلام في الدنيا وتنبيه غير المسلمين إلى الإسلام والرسالة السماوية، فحين يحل وقت الصلاة ـ مثلاً ـ نرى المساجد والحسينيات تعج بالأذان ورفع كلمة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) وهذه دعوة إسلامية هامة جداً. كما نرى توجه المسلمين إلى بيت الله الحرام كل

عام، والتفافهم حول المشاعر المقدسة، وتعبيرهم عن الارتباط بالله تعالى، له الأثر الكبير في الدعوة إلى الله، إلا أن ابتلاء الإسلام بالانحراف وطمس المعالم الدينية أوجب تنبيه عامة المسلمين إلى ذلك لمعرفة الحق من الدين، لئلا تبقى الأسس الدينية خافية على العامة، ويبقى الحق مجهولاً لا يعرفه إلا من يبذل جهداً كبيراً في الوصول إليه، ومن هنا تعتبر الشعائر الحسينية السبيل الوحيد للدعوة إلى دين الله، وتنبيه الغافلين إلى ما حصل من التشويه لصورة الإسلام الوضاءة، ولا معنى لأن تعتبر هذه الشعائر طقوساً خاصة اعتاد عليها شيعة أهل البيت عليهم السلام على طول الفترة، كمن يعتاد البكاءَ على أبيه مثلاً كلما يذكره على طول الفترة من وفاته. بل هي طقوس دينية شريفة من حق كل مؤمن القيام بها في أي حال من الأحوال، وفي أي زمان من الأزمان، وليس لأي أحد منعه منها وتحجيمه بأن يمارسها في أوقات خاصة، وكأنها ممارسات تخصه، ويحتاج في إظهارها إلى إذن خاص. ولذا لا معنى لتحجيم المسلمين من ممارساتهم الدينية العامة، كالأذان وقراءة القرآن ونحوهما وتقنين أدائهما في وقت خاص، أو مكان خاص، لأنه حق مشروع بمقتضى انتمائهم الديني.

ومن الخطأ الفاحش أن نعتبر ممارسات الشعائر الحسينية نظير ممارسات الأحزاب و الشعارات التي تتضمن الدعوة لها، لأن الشعائر ليست مبنية على الترويج لقضية خاصة من أجل الحصول على مكاسب معينة، بل هي ترويج للحق والدعوة إلى دين الله، وهي دعوة واجبة على كل مسلم. إلا أن الشيعة ـ أعزهم الله ـ قد وفقهم الله تعالى في تبنيها والعمل على إحيائها. فلهم الحق فيه في كل زمان ومكان، كما أنها ليست طقوساً خاصة بهم، بل هي دعوة لإحياء دين محمد صلى الله عليه وآله.

بل المتأمل في قضية الشعائر الحسينية وما تنطوي فيها من الآثار الخارجية، يجزم بأنها ساهمت مساهمة فاعلة في بقاء الدين الإسلامي على مر العصور رغم تعرضه للهجمات المضادة على طول الألف والأربعمائة والثلاثين عاماً على اختلافها وتنوعها، وتفنن المعادين في الأساليب الانتقامية، واستحداث الخلفاء والملوك على طول الفترة ما يحلو لهم من الأحكام بعيداً عن التعاليم الدينية، حتى تجرد الدين عن القيم، وبقي صورة جوفاء ليس بأبعد عن بقية الأديان السماوية الأخرى التي نالها التحريف والتزييف.

ويعرف ذلك كل من له أدنى نظرة موضوعية إلى معطيات هذه الشعائر المقدسة، ولذا كانت هي العامل الوحيد لارتباط المؤمنين بهم عليهم السلام، ومعطيات العامل العاطفي في الارتباط بالمبادئ لا يحتاج إلى برهان، حتى قال الإمام الباقر عليه السلام لأبي عبيدة زياد الحذاء: «ويحك يا زياد وهل الدين إلا الحب؟. ألا ترى قوله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ ألا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه وآله: «حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم» وقال: «يحبون من هاجر إليهم» فقال: الدين هو الحب والحب هو الدين». ومن الطبيعي أن من يقيم الشعائر الحسينية يمتلك من المشاعر والعاطفة تجاه سيد الشهداء ما يفوق حد الوصف، حتى تستدر لذلك دمعته، ويجد ألمه في قلبه، بل يبذل له الغالي والنفيس على اختلاف مراتب المؤمنين في تعلقهم بسيد الشهداء عليه السلام وقضيته الخالدة.

ومن هنا ـ من منبر مجلة ينابيع ـ ندعو المؤمنين للاهتمام بهذه الشعائر المقدسة على اختلافها وتنوعها، وبحسب من يقيمها، من دون فرض نوع معين، أو طريقة معينة، أو وقت معين، أو مكان معين.

نعم لابد من أن تكون هذه الشعائر مدعاة للحفاظ على القيم والمبادئ، فلا تجر إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، ولا تسبب الفوضى وترك المسؤوليات تجاه المؤمنين، وهذا هو المأمول من شيعة آل البيت عليهم السلام الذين تربوا على القيم والمبادئ، ومن الله نستمد العون والتوفيق ■

**المشرف العام**

# كتاب (فاجعة الطف) للمرجع السيد محمد سعيد الحكيم قراءة تحليلية


• **أ. م. د. محمد محمود زوين**
كلية الفقه/ جامعة الكوفة


**ينابيع** من بين أهم الكتب التي صدرت في نهضة الإمام الحسين عليه السلام كتاب (فاجعة الطف: أبعادها، ثمراتها، توقيتها) وهو (بحث تحليلي في النهضة الحسينية ودورها في وضوح الحقيقة الدينية) كما جاء في عنوان الكتاب وبياناته للسيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم المرجع الكبير من مراجع الدين في النجف الأشرف، وإذا جاز للباحث أن يوجز الحديث في مقدماته فحسبه أن صاحب هذا الكتاب علم من أعلام النجف الأشرف سجل التاريخ الإسلامي أثره فكراً وجهاداً.

وليست بي حاجة للقول في صاحب الكتاب (دام عزه) فهو علم من أعلام الإمامية في هذا العصر[1]. وقبل الشروع في دراسة الكتاب لابد من معرفة:

## السمات المنهجية للكتاب والمؤلف:

يمكننا الوقوف عند أهم المعالم المنهجية التي بنى المؤلف عليها كتابه، وأسس لأفكاره الموصلة لتحقيق أهدافه وغاياته من خلال النقاط الآتية:

١ـ يأخذنا السيد الحكيم (دام عزه) في أفق واسع من معالم نهضة الإمام عليه السلام، ويسبر أعماق هذه المواطن ليحلل أحداثها، ويقلب بواطن مفاصلها ويوقفنا على عقد وقائعها الحقيقة، وهذا منهج صعب.

أن تجمع بين عدة مساحات من البحث بشكل أفقي، وتمضي مدركاً ملامح حقائقها بشكل عمودي معمق لتحصل النتائج وتربطها بالمقدمات وتشكلها فكراً خالصاً.

أقول: هذا الأمر ليس باليسير مطلقاً

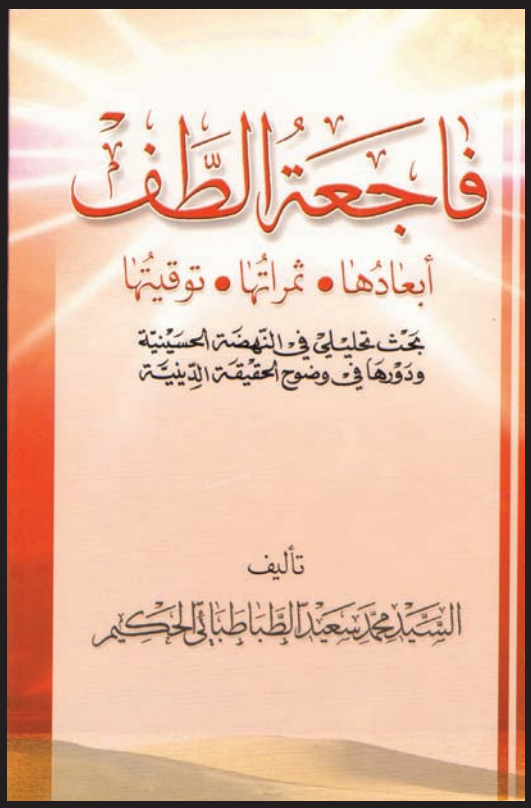


وغير متاح لمن يكتب أو كتب في نهضة الإمام عليه السلام أن يعزز هذه القناعة المنهجية ذلك بالتتبع للمصادر والمراجع والوقوف عند جزئيات النهضة، ومسارات الواقعة فيما بين السطور، ولعلي لا أبالغ في القول إن من تجتمع فيه القدرة على الاستثمار والتوظيف للمصادر على هذه الشاكلة وعى وأدرك مفردات الموضوع وصدر عن فهم موسوعي لحادثة عاشوراء ومكانتها في التراث الاسلامي المختلف في تصوراته لها .

٢- الموسوعية والاستطراد سمة واضحة على أسلوب المؤلف، ولك أن تنظر المقصد الثاني من الكتاب بفصوله ومباحثه لتجد عناصر الموسوعية والاستطراد واضحة بارزة.

٣- التلازم الموضوعي بين مفاصل الكتاب ومقاصده وعنواناته بشكل منطقي ممنهج يخرج القارئ من باب إلى آخر بحسن تخلص، بما يربط المقدمات بالنتائج والفوائد والثمرات .

٤- الوقوف عند جزئيات الفاجعة وتتبع حلقاتها وتوظيف كل شاردة ونادرة تتصل بعاشوراء، وفي هذا قدرة وافية على معرفة الموضوع وكيفية التعامل مع مفرداته.

٥- التوثيق الدقيق للحوادث التاريخية والروايات وكل ما من شأنه تأييد آراء المؤلف وما يذهب إليه.

٦- الأسلوب التعبيري من باب (السهل الممتنع) وإظهار المعاني بالصياغات

المعتبرة ذات الدلالات العالية الرفيعة.

## كتاب فاجعة الطف:

أما الكتاب فهو يقع في أكثر من ستمائة وسبعين صفحة من القطع الوزيري طبع للمرة الثالثة عام (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م) وصدر عن مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية.

ينتظم الكتاب في مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة توزعت على فصلين، فضلًا عن تقديم عرض فيه المؤلف منهجه، وستة ملاحق تضمنت خطبًا مهمة، وقائمة للمصادر والمراجع زادت على ثلاثمائة وثلاثين عنواناً.

لم يرغب السيد الحكيم (دام عزه) في أن يبتدأ الكلام عن عنوان الكتاب ومنهجه من دون أن يقرر في الأذهان أمرين - بل ثلاثة - وهي:

**الأول**: أن هذه النهضة النادرة الفريدة لا في الإسلام فحسب بل في العالم أجمع قد حظيت بالاهتمام والتقييم بشكل جعلها من الفرادة بمكان غير مسبوق ولا ملحوق.

**الثاني**: على الرغم من كل ما تميزت به من الاهتمام ما زالت جوانبها المباركة مدار البحث والدراسة، وذلك لأنها كانت بأمر الله تبارك وتعالى، ولها من الأهداف والثمرات والفوائد ما يدرك إلا في الوقت المناسب لأنها في علم الله تبارك شأنه ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾.

**الثالث**: أن نهضة الإمام أحدثت تحولًا في المجتمع الإسلامي وفكره نحو قضاياه الدينية والدنيوية، وفجرت فيه روح الإسلام المحمدي الحي، ومازالت إلى الآن منهلاً يرتوي منه الأحرار ومنارا يستضاء به في ظلم الطغيان، وفكرا يوظف - في كل زمان ومكان - لاسترداد الحقوق ونبذ الباطل، وهذا مصداق من مصاديق الخلود.

والإشارة بادئ ذي بدء إلى كل ذلك إنما يطهر الأذهان من الشبهات ويستلزم قبول الحقائق نقية حية، فلا جدلية بين القلة والكثرة في التأليف بشأن عاشوراء الحسين عليه السلام، وليس أمر النهضة بعد ذلك من شان السياسة أو الدنيا كما يتصوره من لا حريجة له بالدين إنما هو (عهد معهود منه تعالى) وهذا يفسر سرّ خلود عاشوراء.

ويسترسل المؤلف (دام عزه) في تقديمه المنهجي ويعرض للعنوان ومفاصل الكتاب، ويحكم الصلة بين العنوان والمعنون بعد ان يحدد معالم العنوان بسبب دلالاته المقصودة، وأهدفه المنشودة القائمة على فرضية بحثية تقوم على ثنائية العاطفة والفكر، أو الفاجعة (المأساة) الدينية والإنسانية وملامحها الحزن والألم والبكاء، وقضية الحياة الحرة الكريمة وملامحها نقض الاستعباد والظلم والطغيان، ليكون العنوان على بعدين:

**الأول**: يستعرض الفاجعة (وبيان المفردات المأساوية المثيرة التي تجمعت فيها، وجعلتها في قمة المآسي الدينية والانسانية وبالحجم المناسب لخلودها)[٢].

**الثاني**: يظهر الوجه الآخر لها من

جهة إحياء الدين وتاسيس قواعد الحياة الحرة وتحويل العواطف إلى مواقف حية توظف وتستثمر في الحياة، لذا جاء البعد الفكري عنواناً تفصلياً (لفاجعة الطف) وهو (أبعادها، ثمراتها، توقيتها) وهذا العنوان التفصيلي قامت على أساسه مقاصد الكتاب الثلاثة التي يسبقها السيد الحكيم (دام ظله) بمقدمة يؤسس فيها بالأدلة والبراهين لنظرية التخطيط الألهي لواقعة الطف بما ينقض تماماً فرضية النظرية المقابلة لها ومفادها (إن التخطيط لواقعة الطف بشري)، فهذا أمر مردود مستنكر معارض بالحجج الدامغة التي لا سبيل إلى رفضها، كونها حقائق تسالم عليها أهل العلم في مصادر استنادها وثبوت وقوعها بحسب تواتر نقلها، ولا خلاف في هذا بين المسلمين، إنما يوهم بالخلاف أو بالمخالفة بعض من ينظر بعين واحدة ويفكر بلحن خفي.

من هنا يوثق المؤلف هذه الحقيقة بالنصوص الروائية عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وعن بعض أعلام الصحابة والتابعين ومن خلال الاستدلال بالحوادث التاريخية وفي كل ذلك ينقل عن مصادر عامة المسلمين تفاصيل وافية يدعم فيها نظرية التخطيط الألهي لواقعة الطف بما لا يدع سبيلاً للمقارنة مع غيرها، ولا مجالاً للشك في أبعادها، فيأتيك بالشاهد تلو الشاهد والحادثة تلو الأخرى بدءً من زمن الرسالة حتى شهادته عليه السلام، ينتقل بين العناوين المختلفة ليوظفها على أحسن ما يتصور طلبًا لإيضاح الحقيقة وبيان المطلب فلا يدع نصًا أو حادثة إلا ويستثمرها في اتجاهات مختلفة يخلص منها إلى نتيجة واحدة وهي إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام عهد معهود ولا يصلح غير هذا الرأي يقينًا مع مقام نهضة ما تزال إلى اليوم منبع الثورات ومعتمد الحراك الإنساني ضد الظلم والطغيان.

لقد استحصل المؤلف (دام عزه) ثمرة ما قدم من الأدلة ، وغاية ما أراد من البراهين، فقناعة القارئ وإيمانه بفرضية البحث إنما يتطلب عرض الحقائق والربط بين أجزائها، وهو عين ما سعى إليه السيد الحكيم (دام عزه) فقدم أكثر من خمسة وعشرين عنوانًا استدلاليًا على حقيقة فرضية البحث ليصل بانتقال منهجي منطقي إلى مقاصد البحث التي تشخص أمام القارئ بتراتبية منسقة متواصلة يفضي أحدها إلى الآخر ويستكمل أولها نتائجه في الثاني، ويسطع المقصد الثالث ليميز التناسب الزماني لأحداث وثمار المقصدين.

وعلى أية حال فقد عنون المؤلف (دام عزه) المقصد الأول: (أبعاد فاجعة الطف وعمقها وردود الفعل المباشر لها) وجعل هذا العنوان على فصلين، اختص الأول بأبعاد الفاجعة وعمقها، وقام الفصل الثاني على ردود الفعل المباشر لها.

ولا يخفى على قارئ الكتاب أن هذا الفصل تأسيسي بالنسبة للمؤلف ومنه انطلق إلى بناء مدارات الكتاب عليه، فالوجه الدامي للفاجعة أعطاها الأثر الأكبر والمدى الأبعد في الكشف عن الحقائق وتأكيد ملامحها في اتجاهين:

**الأول:** حقيقة مقام الإمام

ا لحسين عليه السلام ومكانته وما له من خصائص إلهية وفرادة إنسانية لا يدانيه فيها أحد ولا يقاربه فيها بشر، فليس على وجه الأرض ابن بنت نبيٍّ غيره فهو وارث النبوة المحمدية قولاً وفعلاً وتقريرًا، وهي حية شاهدة في قلوب المسلمين، مازال المسلمون يعيشون أجواءها بلحاظ المكان والزمان، فالعهد من النبي صلى الله عليه وآله قريب، وعلى الرغم من كل ذلك لم يرعَ بنو أمية مقام الإمام عليه السلام ولا أهل بيته، وكانوا بذلك معلنين عن حال واقعهم الحقيقي الذي تجسد في الاتجاه الثاني.

**الثاني**: صورة النهج العدواني الدموي لبني أمية الذين لا يرقبون في المسلمين إلاّ ولا ذمة فإذا كان مَن بمقام الحسين وأهل بيته عليهم السلام يُفعل بهم هكذا فكيف بالناس والمسلمين.

هذان الاتجاهان وظّف السيد الحكيم (دام عزه) فيهما كل ما استطاع الحصول عليه من الأدلة والحوادث التاريخية والبراهين على خصوصية الوجه الدموي العدواني تجاه الإمام، وحاول أن يُظهر ـ وقد وفق في ذلك ـ تلازم المشهدين في الطف بما يقدم من خلالهما صورة الفاجعة التي أخذت أبعادًا مختلفة في التحذير منها وتنبيه المسلمين عليها قبل حدوثها، وفي أحداث وقوعها وبشاعة جزئياتها.

وقد أنتجت آثارًا مختلفة على صعيد الكون والطبيعة والناس والفكر، وهو نتيجة ذكية قادنا إليها المؤلف (دام عزه)، فالسماء التي أمطرت دماً والأشجار التي انبعثت منها الدماء أو التي سالت من حيطان القصور أو الدم الذي تحت الحجر والصخور أو ظهور الحمرة في السماء وغير ذلك كثير من تغيير الكون والطبيعية. ويخصص لآثار عاشوراء وفاجعته في الناس الفصل الثاني من المقصد الأول، في حين يناقش باستفاضة ثمرات الطف وفاجعته في الفكر والمنهج الديني والإصلاحي فضلًا عن آثارها في الواقع المجتمعي والسلطوي، ومهما يكن من أمر فقد أوقفنا المؤلف (دام عزه) في الفصل الثاني من المقصد الأول على آثار وردود الفعل المباشرة لفاجعة الطف وقد تمثلت في مقامين:

**الأول**: رد فعل الناس.

**الثاني**: رد فعل السلطة.

ولاريب في أن عملاً إجراميًا في أبعاده المختلفة، تحتم ردود فعل مختلفة، لا تقتصر على الأفراد أو الجماعات بل تعدت إلى الأمصار والبلدان، مما حدا بالقتلة السفاحين من أكبر هرم السلطة إلى أدناها أن يندموا (ولات حين مناص) والندم أدنى مصاديق الجرم والكبائر التي لا يجبرها ندم ولا حسرة، لقد استوعب السيد الحكيم (دام عزه) جميع الموارد التي أظهرت تحولاً في أفعال أو أقوال الناس والسلطة وجمع بينهما في غاية واحدة تؤكد قصوراً وتقصيراً في حق الإمام عليه السلام من جهة المتخاذلين عن نصرته عليه السلام، وتجسد تنصلاً عن الجرم العظيم من جهة قاتليه (لعنهم الله) ولكل جانب منهما مظهر نصت عليه المصادر التاريخية

التي تتبعها البحث بدقة وإيجاز، وقدّمها في إطار عنوانات صغيرة جمع فيها الدلائل على فوات الأوان على النادمين فضلاً عن تأييد حقيقة الآثار الكونية والمجتمعية لشهادة الإمام الحسين عليه السلام والتي أضحت تقلق السلطة وتهز أركانها لينطلق بنا إلى المقصد الثاني من الكتاب والذي تناول ثمرات فاجعة الطف وفوائدها، وقبل الحديث عن هذا الجزء المهم من الكتاب لابد أن أذكر أن المقصد الثاني قد تجاوز نصف الكتاب، وكانت لعنواناته المهمة التي أنبأت عن استطراد موسوعي للمؤلف (دام عزه) ربط فيها بين مطالب البحث وقضاياه الحسينية بسياقاتها وأصولها التاريخية السابقة وعمقها بالنتائج التي أفرزتها عاشوراء الطف بعد شهادة الإمام عليه السلام وقدمها في فصلين كانا أهم فصول الكتاب.

وبعبارة اخرى: يقدم المؤلف أطروحة مهمة جدًا يركز فيها على نتائج فاجعة الطف وفوائدها بالنسبة للدين الإسلامي بشكل عام وللتشيع بوجه خاص، ويرى - باستدلاله الدقيق - أن هذه الواقعة العظيمة لم تكن حادثة عارضة في وقتها عما قبلها من تاريخ الرسالة وأهل البيت عليهم السلام إنما كانت لها من الأصول التاريخية والأسباب الفكرية العمق الأكبر محركة التاريخ متوالدة عن تراكم وليست عن فراغ، من هذه النقطة المهمة يرصد السيد الحكيم (دام عزه) تلك العلاقة بين عاشوراء وبين ما جرى على المسلمين من حوادث من بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله إلى عام (٦٠) للهجرة في اتجاهين:

**الأول**: ما تعرض له الدين الإسلامي من بوادر انحراف عن الجادة التي رسمها النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين، وكيفية

انتقال السلطة ومدى شرعيتها، فضلاً عن جدلية العلاقة بين السلطة ومستقبل الإسلام.

ويؤكد أن النتائج التي أفرزتها حركية السلطة آنذاك هي التي مهدت لاستيلاء بني أمية وتوليهم رقاب المسلمين وانحرافهم بالإسلام المحمدي إلى مدار آخر، وهي امتداد لما سبق ولم تأت النتائج من دون ذلك الأصل.

**الثاني**: بيان مقام أهل البيت عليهم السلام ودورهم في إيقاف وكبح جماح الانحراف، وهي مهمة رسالية، تقتضيها الأمانة الإلهية التي حملوها إزاء الدين الإسلامي فقاموا عليهم السلام بما كلفهم الله تبارك وتعالى، ونهضوا بالأمر، وذبوا عن حياض الدين، وبذلوا ما استطاعوا من أجله. فمواقفهم المؤيدة المسدد منه تعالى صدرت عن اليقين وهي مواقف في عرفنا المتواضع يظهر لنا وجه الحكمة في بعضها مرة، وقد يخفى عنا في بعضها الآخر[٣].

لقد كانت رسالة نهضة الإمام الحسين عليه السلام استنقاذاً للعباد من الجهالة وحيرة الضلالة. إنها الفتح الجديد بالدين الإسلامي بعد أن حُرّف من قبل السلطة وأصبح في مهب التشويه والضياع وليس له إلا الحسين عليه السلام.

من هنا يضعنا المؤلف (دام عزه) أمام مسارين لهما آثار وثمار إلى اليوم، على الرغم من البون الشاسع بينهما ينظر لها من جهة ثانية، وتقابل المسارين تقابل تضاد يفترق فيهما الحق عن الباطل، والمساران هما:

١ـ مسار الانحراف عن الإسلام الذي قاده معاوية بصورة أوضح وبنهج مباشر، وإن كانت له أصول فيما سبق ومن بعض مصاديقه تولية العهد... وقد استنكره عليه المسلمون ـ في وقته ـ لكنه فتح الباب على من بعده يقول (دام عزه): (فإن من الظاهر أن النهضة المباركة لم تمنع من استمرار العمل على نظام ولاية العهد في الخلافة من دون مراعاة أهلية المعهود له، واستمر ما سنه معاوية في دول الإسلام المتعاقبة، حتى تم إلغاء الخلافة في العصور القريبة. وإذا كان كثير من المسلمين قد استنكروا على معاوية ـ في وقته ـ فتح هذا الباب فإنهم قد سكتوا عمن بعده وتأقلموا مع النظام المذكور كأمر واقع، بل أقر فقهاء الجمهور الخلافة المبتنية عليه كما أقروا خلافة الأولين)[٤].

هذا المسار أدى إلى آثار سيئة، على الرغم من كبح جماح جماعة بني أمية وإيقاف طغيانه بالنهضة المباركة فقد (جرأت الأمويين على الدماء كما توقع الإمام الحسين عليه السلام وجرى على ذلك من بعدهم من الحكام في الدول المتعاقبة)[٥].

أضف إلى ذلك أن هذا المسار حَفّز السلطات المتعاقبة باسم الإسلام على الظلم والتعدي على حُرماته وأحكامه، وزاد في تفريق المسلمين وتدهور أوضاعهم في كل المجالات دينياً واجتماعياً، وعَمّقَ الخلاف بين شيعة أهل البيت عليهم السلام وكثير من الجمهور،

وعلى الرغم من كل ذلك كان للنهضة المباركة وقعها المؤثر والفاعل في استمرار تقييد طغيان هذا المسار وكبح جماحه وإبطال أكذوبته وتضعيف أركانه، كل ذلك بما تحقق من ثمار المسار الثاني.

٢- مسار الموقف والتضحية للدين التي جسدها الحسين عليه السلام، فهو المؤتمن على الدين المقوّم لانحرافه الذي أسس قواعده، وقوّضت أركانه بنو أمية فكان عليه السلام يقف بوجه مسار الانحراف بما يتناسب وجسامة الموقف وخطر البدع والحوادث، فحركته عليه السلام تبعاً لتكليفه الإلهي في الصبر مرة والرفض والإعداد ثانية والنهضة والتضحية ثالثة، فقد قدّم في سبيل دين الله وحرمته كلَّ ما عنده ومصداق هذا (الكل) فاجعة الطف بدقائقها وجزئيات أحداثها، لتتحول وتثمر عن منهج إلهي مهمته وغايته مصلحة هذا الدين في مقارعة الانحراف وكشف التزييف.

من هنا كان ارتباط (فاجعة الحسين عليه السلام) بإحياء (دين الله) مؤسساً لوعي وإدراك متجدد لمرجعية (الدين الحق) الذي يتعدى حدود الزمان والمكان ويستعصي على الطغاة وجبابرة الأرض محوه أو إخماده ما دام في نبض هذا الدين دم الحسين عليه السلام الفاتح، قال عليه السلام في رسالته لبني هاشم (أما بعد فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح. والسلام)[٦].

لذلك يقرر السيد الحكيم (دام عزه) هذا المعنى مراراً بطرائق مختلفة وأساليب شتى وعنوانات متعددة، كلها تفضي إلى حقيقة ارتباط عبد الله (الإمام الحسين عليه السلام) المؤتمن بـ(دين الله) المعرض للضياع والمحو والاستبدال بدين جديد - (الإسلام الأموي بدلاً عن الإسلام المحمدي) - المنهج وطريق ينقض دين الله تعالى من داخله بتعطيل الحدود والأحكام وتغيير المفاهيم ليكون الانقلاب من الداخل، لأن نسخ الدين يؤدي بالضرورة إلى الضياع، ولا بد من موقف وتضحية تكون بمستوى المؤامرة على الدين، وهذا ما لا يقوم به إلا المعصوم عليه السلام المؤتمن الراعي للدين، وهذا المعنى حدده البحث في الموازنة بين الانحراف في الاتجاه من جهة وما من شأنه أن يترتب على الانحراف لو لم يعطل مشروعه وهذا أولاً، وثانياً: جهود أهل البيت عليهم السلام في مقارعة الانحراف والدفاع عن حياض الاسلام[٧]، وكلا الأمرين أجراهما المؤلف (دام عزة) مبحثين جعلهما قاعدة تأسيسية لواقعة الطف. ولعل التعرض لبعض عنوانات المبحث الأول تكشف عن مدى صواب وصحة ما ذهب إليه، فالشواهد التاريخية حاضرة والأحداث المترتبة عليها واضحة العلاقة بها.

يستدل البحث على رعاية المعصومين لهذا الدين بوصفه خاتمة الأديان والمصحح لما سبقة وليس ينتظر أن يصحح بدين أو نبوة إذا اختلف فيه العلة، لذا كان المعصومون هم الموكلون بحفظه وعلى ذلك جاءت النصوص الموثقة في وجوب معرفة الإمام والإذعان بإمامته وطاعته وموالاته والنصيحة له، ولزوم جماعة المسلمين والمؤمنين وحرمة التفرق، ولهذه المفردات مقام عظيم في نظم

أمور الدين وأهله، لأنها محمودة العاقبة تستوجب اللطف الألهي إلا أن ما جرى بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله على عكس ذلك تماماً، فتعثرت الأمة وانحرفت عن الخط الرسالي، واستبعدت أهل البيت عليهم السلام عن مقامهم المنصوص عليه، وأعطت مقاليد السلطة إلى غيرهم فأصبح معيار الإمامه والولاية بالقسر والقهر، بخلاف حكم الله ورسوله، فأنكر أهل البيت عليه السلام (علي والزهراء عليهما السلام) ذلك واضطروا إلى مسالمة السلطة فأسلمت أمور المسلمين، وبدأ استغلال السلطة بخصوصيات أهل البيت عليهم السلام فوضعت الأحاديث لصالحها ثم ما لبثت حتى تمسكت بأحاديث وجوب طاعة الإمام ونصرته مع تحريف مصداق الإمام إلى غير أهله، من خلال ذلك نما جيل جديد على الطاعة العمياء للسلطة وأخذ التحريف بعداً بتولي الجهلاء للفتوى والقضاء. وختم المبحث بنماذج من التحريف في زمن بني أمية، تجاوزت الثلاثين تحريفاً لينتقل إلى المبحث الثاني الذي اختط المؤلف له منهجاً تراكمياً في الأحداث كانت غايته بيان جهود أهل البيت عليهم السلام في ردّ الانحراف والتي قامت على ثلاثة مقامات، اهتم الأول بجهود الإمام علي عليه السلام والخاصة من أصحابه والتابعين الذين كانوا معه في صدّ الانحراف مقابل ضغط السلطة المتواصل عليه عليه السلام وعلى أصحابه وتابعيه. وفي هذا المبحث سرد غني للحوادث التاريخية المسكوت عنها أو المنقولة وهي مهمة للباحثين عن الحقائق والمتصدين لمعرفة واقع المسلمين آنذاك.

وجاء المقام الثاني على بيان رد فعل السلطة على جهود الإمام علي عليه السلام وخاصته في ردع الانحراف فكان لإهمال معاوية بالقضاء على خط أهل البيت عليهم السلام أساس في هذا المقام، فقد نكل بالشيعة وحجر نشر السنة النبوية، ومنع الروايات المؤيدة لأهل البيت عليهم السلام ووضع الأحاديث المزيفة في فضل الصحابة والخلفاء، واستبعادها عن آل البيت وعن علي عليه السلام خصوصاً، مقابل تقديس الخلفاء، وانعقد المقام الثالث على إثر فاجعة الطف في الإسلام بكيانه العام وابتدأ بإشارة إلى قوة الدولة التي أقامها معاوية بالترهيب والترغيب وبالإعلام والتثقيف المنحرف وإثارة العصبية والنعرات الجاهلية، وكيف تعامل الناس مع واقع السلطة التي تمثل انحرافًا دينيًا، يستوي مصداقه الأكمل ببيعة يزيد لعنه الله بعد أن أرسى معاوية قواعدها وأحكم بنيانها في أمة متخاذلة أنساها دينها ومثلها[٨].

(واتخذ نهج التدرج في الانحراف والمخالفات بنحو لا يستفز الجمهور، وكلما آلف الجمهور مرتبةً من الانحراف انتقلت للمرتبة الأعلى، وهكذا حتى يألف الجمهور حكم السلطة في الدين وتحويرها له)[٩]. وعند ذلك تكون تبعية الدين للسلطة فيضمر وقعه في نفوس الناس

وقد ينتهي التحريف بتحول الدين إلى أساطير وخرافات، لذلك لابد من موقف يفقد السلطة توازنها لتقوم بجريمة نكراء تنكشف فيها على حقيقتها، وتستفز جمهور المسلمين، وتذكرهم بدينهم وتستثير غضبهم وتفصلهم عن السلطة وتخسر ثقتهم بها، وبذلك تفقد السلطة فاعليتها وقدرتها على التحريف[١٠].

لقد كانت التضحية بأوحد أهل الدنيا على وجه الأرض الطريق إلى نقض بناء السلطة مدة عشرين سنة، فقد سنحت الفرصة بعد أن وصل الاستخفاف والاستهتار بالدين والناس أعلى مراتبه باتخاذ يزيد الخلافة مرتعًا له ولأمثاله، فلم يكن والحال هذه إلا صورة واحدة في مشهدين:

إظهار وجه السلطة السيِّئ البغيض بعد نزع القناع عنه والتجرؤ على حرمة الإمام عليه السلام وبما جرى في فاجعة الطف بكل ما هو وحشي لا يمت للإنسانية بجانب.

والمشهد الآخر: صورة التضحية والفداء للدين بكل ما يملك الإمام عليه السلام والصبر على كل ما يجري عليه وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه الخلص احتسابًا للأجر عند الله تبارك شأنه، وهو إحياء الدين، في إسقاط أكذوبة بني أمية واستحالة هذه التضحية شريعة ومنهاجًا تجدد لحفظ الدين والدفاع عن حياضه حتى صدق (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء)، وقد حرر المؤلف (دام عزه) عددا من الدلالات والآثار المباشرة للدين ومنها:

- تشابه حركة وفداء الإمام الحسين عليه السلام عليه السلام لمواقف الأنبياء والأوصياء وجميع المصلحين.
- التلازم الحيوي بين دعوة النبي

الخاتمﷺ وفاجعة الطف بغاياتها واهدافها.

ـ ظهور نشاط وحركية الفرقة المحقة التي تلتزم بالإسلام الحق المتمثل بخط أهل البيت عليهم السلام وظهور الاختلاف العميق بين المسلمين بسبب الانحراف.

ـ قيام بوادر انهيار الدولة القائمة على الظلم والجبروت بعد أن تزعزعت أركانها وبان زيفها وانحرافها.

ـ فقدان السلطة شرعيتها وإسقاط فرضياتها في أنها من القضاء والقدر، وكسر حالة الخوف منها، وتهيئة المناخ الصحيح للثورات عليها والخروج على ظلمها وجبروتها، ومنها قامت ثورة أهل المدينة وخروج ابن الزبير، والتوابين، والخوارج وغيرهم، فالخروج على السلطة لم يعد مقتصراً على جهة دون أخرى.

ـ البراءة من أعمال السلطة بل البراءة منها لأنها حق مغصوب وهو ما قام به معاوية الثاني بعد أن عهد اليه يزيد بولاية العهد، فأعلن البراءة من جده وأبيه ورفضه لها.

ـ وضوح فكرة عزل الدين في الصراع على السلطة.

ـ وضوح فكرة أن بيعة الخليفة لا تقتضي شرعية خلافته، وأن وجوب الطاعة والجماعة لا يعني الانصياع للسلطة لأنها لا تمثل الشرعية الدينية.

ـ تعاظم التوجه الديني في المجتمع الإسلامي نتيجة فاجعة الطف، وظهور طبقة الفقهاء والمحدثين وشياع الاتفاق على مرجعية الدين بالكتاب والسنة واستبعاد السلطة عنها مما أدى إلى تعامل السلطة مع الواقع بشكل آخر تمثل في إقدامها على تدوين السنة والتقرب من بعض الفقهاء طلبًا لكسب الشرعية منها[11].

هذا وغيره من أهم مكاسب الإسلام لفاجعة الطف التي وقف عندها السيد الحكيم (دام عزه) مدققًا مستدلاً ببصره وبصيرته جامعًا لأهداف الفاجعة من جهة وتلازمها مع النتائج التي حققتها في واقع الأمة ولم يقصر على ذلك فحسب إنما أخذنا حيث المكاسب الخاصة التي تجلى عنها عاشوراء لمنهج التشيع وللشيعة من المسلمين بوجه خاص ويمكن أن نوجز ذلك بالنقاط التالية:

١ـ انحصار مرجعية الدين بالكتاب والسنه إنما هو انتصار لمباني التشيع ولهذا الأمر أبعاد أخرى في الحد من أثر المباني الفكرية للشيعة على تحولات الافكار الاسلامية إليهم نظرًا لطبيعة مصدرهم ولقوة استدلالهم ومواردهم.

٢ـ الاستدلال على رفض الإمام الحسينعليه السلام لنظام الخلافة وإسقاط شرعيته المصطنعة، ولاسيما أنهعليه السلام قد رفع شعار الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد زعزع نظام الخلافة عند الجمهور وكانت فاجعة الطف العقبة أمام نظام الخلافة وعقدة السلطة دائماً.

٣ـ فوز التشيع بشرف التضحية في أعظم ملحمة دينية، وهو ما حدا بالظالمين والسلطويين في النقمة على الشيعة في إحياء فاجعة الطف مما أدى

إلى تجذرها بنحو يؤكد ظلامتهم على نهج ظلامة إمامهم وهو ـ ولاشك ـ يعود في صالحهم على الأمد البعيد[١٢]، وما إلى ذلك من المكاسب التي يستثمرها السيد الحكيم (دام عزه).

المقام الثالث يعرض بقية المكاسب فيها من خلال الإعلام، والإعلان عن فاجعة الطف تعني الدعوة إلى التشيع ونشر ثقافته من خلال رثاء الإمام الحسين عليه السلام أو زيارته أو التأكيد على ظلامته وإحياء مراسيم المناسبات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام، وإذا كان التشيع مرتبطاً بأهل البيت عليهم السلام، ففيه استثمار له لنشر ثقافته والتأكيد على حقوقهم مما أدى إلى تجذر مناسبات أهل البيت عليهم السلام عمومًا من خلال إحياء عاشوراء ـ وهي تتجدد كل عام ـ وهذا يعطي للشيعة زخماً من الحيوية والنشاط والتواصل من جهة وجمع كلمتهم وتثبيت وحدتهم من جهة ثانية، ولا يخفى ما في ذلك من تثبيت للهوية الشيعية ونشر الثقافة الدينية الحقة.

ويصل بنا المقام إلى الفصل الثاني (في العبر التي تستخلص من فاجعة الطف) من المقصد الثاني في مقامين نطل منهما في الحديث عن آلية العمل العظيمة الشريفة العالية التي اتبعها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة المتناسبة في الدعوة إلى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مواقفه التي أعلن فيها عن نهضته بدءً من خروجه من المدينة حتى شهادته في كربلاء. ويلاحظ المؤلف (دام عزه) أن سلامة الآلية في العمل والصبر وانتظار أمره تعالى والشهادة بين يديه عز شأنه وعدم البدء بالقتال. كل ذلك من آليات العمل عند المصلح الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر[١٣]، وهي مواقف سايرت طريق الحسين عليه السلام ولم تنفك عن نهضته حتى صارت من معالمها العامة وطريقة أدائها الرسالية.

وفي المقام الثاني يتوقف السيد الحكيم (دام عزه) عند نتائج فاجعة الطف ويحدد أهميتها مشيرًا لإمكانية الاستفادة منها في وقتنا المعاصر، وقد لا تكون بعض هذه النتائج في أبعادها العملية صورة مرضيه للمجتمع الإسلامي آنذاك، لكنها ترصد بشكل واقعي حقيقي وقد كشفت فاجعة الطف عن إكمال مشروع أمير المؤمنين عليه السلام في إيضاح معالم الدين، وسلب شرعية السلطة التي كانت تتحكم فيه وتعذر إصلاح المجتمع بالوجه الكامل، وهذه النتيجة امتداد لنتيجة تجربة علي عليه السلام مع المجتمع الإسلامي، لذا ينحصر الأمر في شأن الإصلاح بمحاولة الاصلاح النسبي وعدم الاغترار باندفاعات الناس العاطفية، وهذا نهج أهل البيت عليهم السلام وما هم عليه في شأن تعاملهم مع السلطة وما يظهر من مسالمتهم لها.

وناقش السيد (دام عزه) دعوى أن هذه الرؤية لا تتناسب مع قابلية الإسلام للتطبيق، وخلص إلى أن الإصلاح الكامل يتعذر بعد حصول الانحراف، وقد زاد الأمر تعقيدًا في زمن الغيبة ومع كل هذا لا يسقط الميسور من الإصلاح بالمعسور.

وفي آخر مقاصد الكتاب ـ الثالث في

الترتيب الأول في اعتبار الأهمية - حيث يثير السيد الحكيم (دام ظله) أمراً مقصوداً في الأذهان وهو أن أهل البيت عليهم السلام بأجمعهم يشتركون في مسؤولية رعاية الدين والجهاد في سبيل صلاحه وحمايته، فلابدّ أن يكون لانفراد الإمام الحسين عليه السلام من بينهم بنهضته التي انتهت بفاجعة الطف لاختصاصه بظروف ودواع ألزمته بذلك لم تتحقق لهم عليهم السلام، لذا حاول السيد الحكيم (دام عزه) أن يقدم لنا رؤيته فيما تميزت به نهضة الإمام الحسين عليه السلام بحيث ألزمه النهوض ولم يسعه القعود وقد فصلّ السيد الحكيم (دام عزه) الإجابة عن هذا الإشكال بطريقة جمعت مقاصد أهل البيت عليهم السلام في اتجاه واحد، على الرغم من تعدد أساليب تعاملهم مع أحداث عصرهم، فلكل إمام منهم عليهم السلام ظرفه الخاص، لذا كان الحديث في فصول ثلاثة تخصص الأول في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والثاني في موقف الإمام الحسن عليه السلام والثالث في الأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام ومن خلالهم سوف نجد فارق التكليف واختلاف حيثيات الأحداث التي توجب النهضة والقيام أو المسألة والمصالحة أو المهادنة والانتظار والصبر.

في الفصل الأول: عرض المؤلف (دام عزه) أولويات الإمام عليه السلام بعد خروج السلطة وانحرافها عن أحكام الدين وهي الحفاظ على كيان الإسلام العام والحفاظ على حياته وحياة الثلة الصالحة من شيعته فهذه المهمة التأسيسة لابدّ منها في وقت الدين أحوج ما يكون فيه إلى (الإسلام الحق) الذي يحمله هؤلاء من دون تشويه وتحريف لتثبيت دعائم الدعوة المحمدية على وجه الأرض، وهذا يختلف عن وقت الإمام الحسين عليه السلام حيث كان هناك كيان إسلامي أثبت انتشارًا واسعًا.

لذا فإن القيام أو النهضة يعرض حياة الإمام عليه السلام وأصحابه للخطر وضياع الدين والمذهب معاً. على الرغم من ذلك كان لأمير المؤمنين عليه السلام الكثير من المحاولات في تعديل مسار السلطة لكنه افتقد الناصر ولم تغب عنه عليه السلام تفاصيل الأحداث وخصوصيات عصره وكانت على ذلك خارطة حركته الإصلاحية.

وفي الفصل الثاني طاف بنا السيد الحكيم (دام عزه) في مواقف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وأحداث عصره وبيان مظلوميته عليه السلام.

فعرض لصلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وأسبابه وتناسبه مع الأحداث التي زامنها، وكيف كان خروج الإمام عليه السلام من الصراع بصلح خير من الهزيمة العسكرية الذي سوف يحصد شيعته المخلصين وشيعة أبيه عليهما السلام، ومهما يكن من أمر فقد استدل المؤلف (دام عزه) بأحاديث أهل البيت عليهم السلام والأحداث التاريخية وأقوال الإمام عليه السلام حول صواب وصحة رأي الإمام عليه السلام في الهدنة والصلح مع معاوية، ومن هنا يفرّق (أعزه الله) بين موقف الإمام الحسن عليه السلام (في دفاعه العسكري عن خلافته التي ثبتت له ببيعة أهل الكوفة

كما هي بنظر جمهور المسلمين. وموقف الإمام الحسين عليه السلام فهو الامتناع عن البيعة والإنكار للباطل من دون أن يسعى للحرب، وإنما فرضت عليه فرضًا، والإمام الحسين عليه السلام كان يقود حربًا خاسره بنظر الناس، لا يبررها إلا الإصرار الانفعالي والعناد، وليس كالإمام الحسين عليه السلام في موقف حرب ظالمة تريد أن تفرض عليه بيعة يأباها، ولا مبرر لإلزامه بها)[١٤].

وفي الفصل الثالث: دار الحديث في موقف الأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام من السلطة، وهو امتداد لموقف الإمام عليه السلام وقد فتح باب استنكار السلطة وتعريتها عن أية شرعية اصطنعتها لنفسها وزيفتها للتسلط على رقاب الناس، فكان من مهماتهم عليهم السلام الحفاظ على شيعتهم وتقوية كيانهم، وقد أثمر ذلك عدم التفريط بطاقات شيعتهم، فضلاً عن التركيز على فاجعة الطف وظلامة أهل البيت عليهم السلام، وتقوية صلات الشيعة بالإمام الحسين عليه السلام بمختلف الوجوه، وتأكيد صلتهم بشيعتهم، وحثهم على إحياء دينهم والتفقه فيه، وبث تعاليمهم السامية وثقافتهم في العقائد والفقه والأخلاق والأدعية والزيارات إلى غير ذلك حتى قامت الحوزات الشيعية العلمية، فهذه معالم وآثار موقفهم عليهم السلام وهو ـ ولاشك ـ قد أثمر عن هذا التواصل والترابط بين منهجهم ومنهج الإمام عليه السلام في غاياته ومقاصده على الرغم من اختلاف الأساليب والأزمان.

فإذا انتهينا من مقاصد الكتاب وفصوله، يخلص بنا السيد الحكيم (دام عزه) إلى خاتمة الكتاب الذي أراد أن يوظف معالمها في فصلين كان

الأول منهما في أثر فاجعة الطف في تعديل مسار الفكر الديني والإنساني عامة، وإيضاح الضوابط التي ينبغي أن ينهجها طالب الحقيقة.

فقد أكد هذا الفصل على أن وضوح معالم الإسلام بعد استبعاد أثر السلطة المنحرفة عليه، أدى بالضرورة إلى الحيلولة دون تحكمها في الدين وقيام الحجة على (الدين الحق) المبتنية على إمامة أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم الرفيعة المنكرة للظلم والطغيان وتشويه الحقائق وتحريف مفاهيم الدين، فساهم ذلك بأن دافعت ثقافة (الإسلام الحق) عن الأديان السابقة ونبهت لتحريفها وذهبت بتنزيه رموز تلك الأديان عن الانحراف فيها، بوصفه الإسلام ديناً خاتماً للأديان، ولو فتح المجال والباب لانحرافه لضاعت معالم الحق ومعالم الرسالات الإلهية على البشرية، فكان الفداء والتضحية في صد الانحراف إنما هو إقامة للرسالة الإلهية في تثبيت الحقيقة الدينية الداعية إلى الله تعالى وفقاً للفطرة الإنسانية السليمة على اختلاف الرسالات والديانات السماوية، أما الفصل الثاني من الخاتمة فقد جاء في غاية مهمة جداً وهي (إحياء فاجعة الطف) وبهذا الختام للكتاب يعود السيد الحكيم (دام عزه) إلى مطابقة بدء الكتاب مع خاتمته لأنه افتتح الكتاب بالبعد الدامي لعاشوراء وجانبها المفجع، وهنا يعود ليتواصل مع ما بدأ به في الحديث عن ضرورة إحياء فاجعة الطف، مع تأكيد أهل البيت عليهم السلام عليها واختلاف الناس في مظاهر التعبير عنها تبعاً لعواطفهم وشعورهم إزاء الأحداث لذا كانت لكل بيئة وبلد طريقته الخاصة في الاحتفاء بعاشوراء تتناسب مع مداركها وأحاسيسها وخصوصياتها، وترك الحرية لكل فئة في أن تختار لنفسها الطريقه التي تناسبها في التعبير عن شعورها وعواطفها ما لم يتجاوز الحد المشروع.

ويؤكد المؤلف على أهمية مشاركة عامة الناس في الحفاظ على الشعائر فبهم تحفظ هذه الشعائر حيث لا يسهل بسبب كثرتهم القضاء عليها من

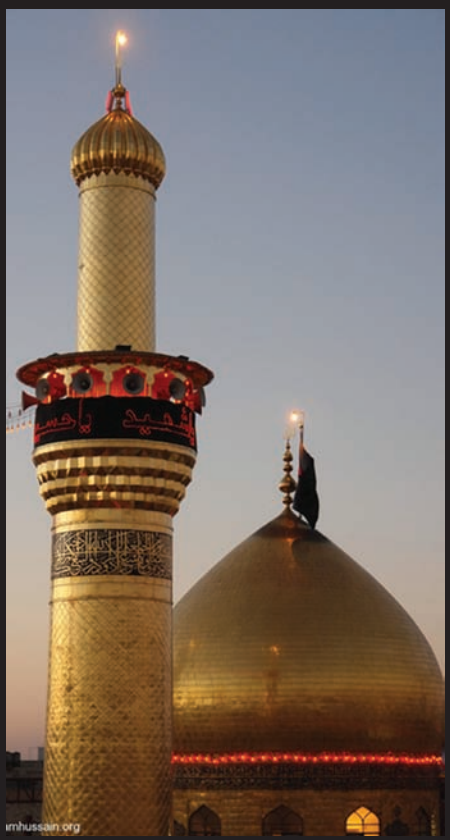

أعداء الدعوة، ولا يستطيعون تجميد وإيقاف مدهم، وعليه فلابدّ للخاصة من أفراد المجتمع دعمها وتهيئة الظروف المناسبة لها، ولا مانع، فيما يرى السيد الحكيم (دام عزه)، من الممارسات الصارخة لشعائر الإحياء لأنها تلفت الأنظار وتعرف بالفاجعة وهي الأحرى بإظهار عواطف الجمهور وتجذرها في أعماقهم واستنكارهم للظلم الذي تعرض له الإمام عليه السلام، كما تعرض له شيعتهم تبعاً لهم على امتداد التأريخ، وهي كذلك مدار السؤال والاستفسار من الآخرين لأنها تنبّه على الحدث وتظهر الفاجعة.

أما قضية تطوير طريق إحياء المناسبة فيرى السيد الحكيم (دام عزه) أن إيجاد وسائل تناسب التطوير المذكور يجب أن يكون مصاحباً لهذه الشعائر بواقعها المعهود المأمون، لا بدلاً عنها ويشير السيد الحكيم (دام ظله) إلى أنه قد تختلف وجهات النظر حول بعض الممارسات لاختلاف الحكم الشرعي اجتهاداً أو تقليداً، أو قد يدور الاختلاف في حصول ما يؤكد رجحانها ويقتضي التثبت بها أو يوجب ارجاحها ويقتضي الإعراض عنها من العناوين الثانوية فالحل المفترض واللائق واللازم على كل طرف من أطراف الخلاف الاقتصار على بيان وجهة نظره، أو محاولة الإقناع به بالتي هي أحسن، ولا ينبغي تجاوز ذلك إلى الإرغام على تقبل وجهة نظره أو الصراع الحاد أو التهريج والتشنيع والتوهين، والهدف من كل هذا هو أن تكون هذه المراسم في المناسبات والإحياء موجبة للتوحد ونبذ الصراعات والاختلافات غير الموضوعية، فإحياء الفاجعة ليس مسرحاً للنزاعات وإنما هو مقام لطلب الأجر العظيم، وثبوت في الناس منهج الإمام عليه السلام الذي قدم نفسه وأهل بيته عليهم السلام فداءً للدين الحق، والذي تستوجب منا الالتزام به في وحدة الكلمة والمشاركة الفاعلة في سبيل ذلك[15].

هذه إطلالة سريعة على ما خطته أنامل مخلصه لقضية الإمام الحسين عليه السلام جمعت بين أبعاد الفاجعة التأريخية والفكرية، فضلاً عن العاطفية والشعائرية، تتبع فيها ذلك التلازم والتفاعل الحقيقي فيما بينهما إلى الحد الذي تسهل أثراً يصح، بل يجب توظيفه واستثماره في واقعنا المعاصر، فنهضة الإمام عليه السلام إنما هي متجددة فاعلة في الحياة لا يحدها زمان ولا يقيدها مكان، وكل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء.

والسلام ■

**الهوامش:**

(١) ظ: موقع مكتب السيد الحكيم.
(٢) ظ: فاجعة الطف: ٧.
(٣) ظ: فاجعة الطف: ١٣٨-١٣٩.
(٤) فاجعة الطف: ١٣٩-١٤.
(٥) فاجعة الطف: ١٤٠.
(٦) بصائر الدرجات: ٥٠٢.
(٧) ظ: فاجعة الطف: ١٥٤.
(٨) ظ: فاجعة الطف: ٣٥٤.
(٩) ظ: فاجعة الطف: ٣٦٠.
(١٠) ظ: فاجعة الطف: ٣٦٢ ـ٣٦٣.
(١١) ظ: فاجعة الطف: ٣٦٣ـ ٤٠٦.
(١٢) ظ: فاجعة الطف: ٤٠٧ ـ ٤٣٣.
(١٣) ظ: فاجعة الطف: ٤٣٥ـ ٤٥٦.
(١٤) ظ: فاجعة الطف: ٤٨٠- ٤٨١.
(١٥) ظ: فاجعة الطف: ٥٣٥- ٥٥٩.

# الإمام الحسين عليه السلام امتداد لرسالة جده صلى الله عليه وآله الإصلاحية

د. خليل خلف بشير •
كلية الآداب/ جامعة البصرة

**ينابيع** إن للإمام الحسين عليه السلام موقعاً رسالياً في صميم حركة الأنبياء والأولياء تميّز به عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجعل منه حقيقة خالدة وضميراً حياً لكل مظلوم، وصرخة حق تدوي في وجه الظالمين إلى يوم الدين، وتدل الروايات التي تنقلها لنا أمهات الكتب الحديثية والفرق الإسلامية في حق الإمام الحسين عليه السلام على أن هناك دوراً رسالياً ومقاماً إلهياً خاصاً أراده الله سبحانه وتعالى ورسوله الصادق الأمين لهذا الإمام الوتر لكي يكون ثأر الله القائم حتى يرث الأرض عباد الله الصالحون، وبه عليه السلام وبنهضته المباركة تتكامل شروط الوعي العقائدي للأمة الإسلامية، وسيتعاظم اندماجها بالرسالة لتنطلق تحت ولايتهم بإرادة صعبة ثائرة، وبعزم أولي العزم نحو إعلاء كلمة الله في الأرض ليكون الدين كله لله وحده لا شريك له. وفي ذلك يقول السيد هاشم الحسني: (لقد كان الحسين عليه السلام الوارث الوحيد لتلك الثورة التي فجرها جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على الجاهلية الرعناء والعنصرية والوثنية لإنقاذ المستضعفين في الأرض من الظلم والتسلط والاستعباد، وواصلها أبوه وأخوه من قبله، وكان دوره القيادي للسير بها على خطا جده وأبيه سنة ستين للهجرة، حيث الأمة كانت بانتظار من ينهض بأعبائها ويكون الحارس الأمين المسؤول عنها بعد أن أخذت دعائمها تنهار وتتقوض تحت ضربات بني أمية وأعوانهم، وجميع معطياتها التي انطلقت قبل خمسين عاماً أو أكثر قد صادرها الأمويون وأعوانهم، والكتاب الكريم رفع على حرابهم وحراب جلاديهم، والفكر

العقائدي الذي جاء به الإسلام ليبني العقول والقلوب خضع لتوجيه السلطات الحاكمة، وسيوف المجاهدين انتقلت إلى الجلاوزة والجلادين للتنكيل بالصلحاء والأبرياء، والصدقات والغنائم التي كانت تصل إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وتذهب منه إلى بيوت الفقراء والمساكين أصبحت تنتقل إلى قصر الخضراء لشراء الضمائر)[1].

ونلمس هذه الحقيقة التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام لأجيال الأمة على مدى الدهر في شعارات ثورته ومنطلقات نهضته الإلهية فهو القائل:

- (إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليهما السلام)[2].

- (من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، ولسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله)[3].

- (ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين الذلة والسلة، هيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر)[4].

- لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد، يا عباد الله إني عذتُ بربي وربكم أن ترجمون، وأعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)[5].

لقد تحدّث الإمام الحسين عليه السلام معهم بأسلوب الثورة، وفي كلامه كثير من التقريع، والتوبيخ، لأنهم خذلوه بعد أن استنصروه بكتبهم لتغيير الواقع الذي يعيشون، وبعد ما ملّوا ظلم الأمويين واضطهادهم فكان الإمام الحسين عليه السلام هو الوحيد القادر على تغيير هذا الواقع الفاسد إذ يقول عليه السلام: (تبًا لكم أيتها الجماعة وترحًا وبؤسًا لكم! حين استصرختمونا

ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفًا كان في أيدينا، وحمشتم علينا نارًا أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويدًا على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهًا وضلة، فبعدًا وسحقًا لطواغيت هذه الأمة! وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب، ومطفئي السنن، ومؤاخي المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين، وعصاة الإمام، وملحقي العهرة بالنسب، ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. أفهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟!! أجل والله، خذل فيكم معروف نبتت عليه أصولكم، واتزرت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلا)[٦].

وعليه فنهضة الحسين عليه السلام لا تقاس بمقياس مادي أو عقلي أو مقياس نتائج التجربة بل هي ثورة ونهضة شاملة تتضمن أبعاداً عقائدية وروحية واجتماعية وسياسية وتاريخية، وأبعاداً نفسية ودنيوية وأخروية، وتتجاوز أبعادها الإطار الإنساني الفطري، وتخترق محددات الزمن، وتربط الماضي بالحاضر والمستقبل، لذا يتربع الإمام الحسين عليه السلام على قمة هرم الحضارة الإنسانية، أما على السفح وبين الشقوق فيجثم السقوط بشقيه المادي والدوني فسحقاً لمن رضي بالذل! أما الدونية فتتمثل في أولئك الذين قال عنهم ربنا عزّ وجل ﴿**قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾[٧]، وهم الذين صمتوا حتى قُتل الإمام الحسين عليه السلام حتى إذا جيء برأسه الطاهر وَوُضع بين يدي ابن زياد وأخذ يعبث به قال قائلهم: (ملك عبدٌ حرًا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم ويستعبد أشراركم، رضيتم بالذل؟! فبعدًا لمن رضي)[٨]، وأما المادية فتتمثل في هؤلاء ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾[٩]، وكانت السلطة والمال أكبر همهم وهدفهم الذين لا يبغون عنه حولاً، وعلى قمة البشرية يوجد أولئك الذين عاشوا ومازالوا يعيشون بين الشهادة والشهود إنهم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، ويحيط بهم من يحبهم ويخلص لهم قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾[١٠] فيقف الحسين عليه السلام قبيل توجهه للشهادة في ساحة الشهود ليدعو قائلاً: (إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك، وإن عصيتك، كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك فقد دفعتني العوالم إليك وقد أوقعني علمي بكرمك عليك، إلهي كيف أخيب وأنت أملي، أم كيف أهان وعليك متكلي، إلهي كيف أستعز وفي الذلة أركزتني، أم كيف لا أستعز وإليك نسبتني، إلهي كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقراء أقمتني؟، أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك أغنيتني؟، وأنت الذي

لا إله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء، وأنت الذي تعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهرًا في كل شيء، وأنت الظاهر لكل شيء، يا من استوى برحمانيته فصار العرش غيبا، في ذاته محقت الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار، يا من احتجب في سرادقات عرشه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته من الاستواء كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر، إنك على كل شيء قدير)[11] ثم يأتي عالم الشهادة عند تحرك الحسين عليه السلام نحو ساحة المواجهة ومن ثم الشهادة منطلقاً من تكامل الوعي الإنساني مع الإرادة الإلهية تحقيقاً لكرامة الإنسان. قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[12]، وقال تعالى أيضاً ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[13]، وهو نفس التكامل الذي ظهر واضحاً في الخطاب السياسي لأبي عبد الله عليه السلام عشية توجهه نحو ساحة المواجهة المفروضة والمقدرة سلفاً، ولقد جاء هذا التحرك الاستشهادي في مقابل سياسة تزييف الوعي القائم على قلب الحقائق ومخاطبة الجماهير بشعارات مبهمة تتحدث عن الاستقرار ووأد الفتنة من أجل التغطية والتعمية على مظالمها واستبدادها واستئثارها بالسلطة وإمعانها في انتهاك كرامة الإنسان، عماد قوتها ومنبع وجودها، وفشلها في تلبية احتياجات الأمة الاستراتيجية والأساسية، ذلك الفشل الذي ظهرت معالمه واضحة جلية في الأزمة الراهنة التي يواجهها الإسلام والمسلمون التي جاءت نتيجة تراكمات الماضي القريب والبعيد، وعجز الأمة عن التحرك نحو الإصلاح حيث كان النظام الأموي نموذجاً واضحاً لكل هذه العورات والسيئات التي تراكمت حتى حوّلت الأمة إلى مسخ يعجز حتى عن الدفاع عن الكرامة في أبسط صورها وأشكالها، فما بالك بحقيقتها؟! من هنا جاءت هذه الكلمات، وجاء هذا الخطاب الذي يبين الحقائق للناس لعلهم ينتبهون قبل أن يصل الحال إلى ما هو عليه الآن، وما أقرب الليلة بالبارحة![14].

قلة هم أولئك الذين يتسنّمون قمم الخلود والسمو والعظمة، وقلة هم أولئك الذين ينفصلون عن آخر الزمان والمكان. ليكونوا ملكاً للحياة والإنسان، أولئك القلة هم عظماء الحياة، وأبطال الإنسانية، ولذلك تبقى مسيرة الحياة، ومسيرة الإنسان، مشدودة الخطى نحوهم، وما أروع الشموخ والسمو والعظمة، إذا كان شموخاً وسمواً وعظمة، صنعه إيمان بالله، وصاغته عقيدة السماء، من هنا كان الخلود حقيقة حية لرسالات السماء، ولرسل السماء، ورجالات المبدأ والعقيدة... وفي دنيا الإسلام، تاريخ مشرق نابض بالخلود... وفي دنيا الإسلام، قمم من رجال صنعوا العظمة في تاريخ الإنسانية، وسكبوا النور في دروب البشرية، وإذا كان للتاريخ أن يقف وقفة إجلال أمام أروع أمثولة للشموخ... وإذا كان للدنيا أن تكبر لأروع تضحية سجلها تاريخ الفداء فالفكر يتعثر وينهزم، واليراع يتلكأ ويقف أمام إنسان فذّ كبير كالإمام الحسين عليه السلام، وأمام وجود هائل

من التألق والإشراق، كوجود الحسين عليه السلام.. وأمام إيمان حي نابض، كإيمان الحسين عليه السلام.. وأمام سمو شامخ عملاق كسمو الحسين عليه السلام... وأمام حياة زاهرة بالفيض والعطاء كحياة الحسين عليه السلام، إننا لا يمكن أن نلج آفاق العظمة عند الإمام الحسين عليه السلام، إلا بمقدار ما نملك من بُعد في القصور، وانكشاف في الرؤية، وسمو في الروح والذات.. فكلما تصاعدت هذه الأبعاد، واتسعت هذه الأطر، كان الانفتاح على آفاق العظمة في حياة الإمام الحسين عليه السلام أكثر وضوحاً، وأبعد عمقاً... فلا يمكن أن نعيش العطاء الحي لفيوضات الحسين عليه السلام، ولا يمكن أن تغمرنا العبقات النديّة، والأشذاء الرويّة، لنسمات الحياة تنساب من أفق الحسين عليه السلام ولا يمكن أن تجللنا إشراقات الطهر، تنسكب من أقباس الحسين عليه السلام.. إلا إذا حطمت عقولنا أسوار الانفلاق على النفس، وانفلتت من أسر الرؤى الضيقة، وتسامت أرواحنا إلى عوالم النبل والفضيلة، وتعالت على الحياة المثقلة بأوضار الفهم المادي الزائف، وعند ذلك تتجلى الرؤية، وتسمو النظرة، ويفيض العطاء، فأعظم بإنسان جدّه محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وأبوه علي عليه السلام بطل الإسلام الخالد، وسيد الأوصياء، وأمه الزهراء فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، وأخوه السبط الحسن عليه السلام ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله، نسب مشرق وضّاء، ببيت زكي طهور[15]. قال هاشم الحسني: (إن ثورة الحسين عليه السلام كانت الوهج الساطع الذي أضاء المسالك لمن أراد المسيرة بالإسلام في طريقها الصحيح والمرآة الصافية للتخلص من الحاضر الذي كانت تعيشه الأمة، ومن واقعها الذي كانت ترسف في أغلاله، ومن أجل ذلك فقد دخلت في أعماقهم جيلاً بعد جيل وستبقى خالدة خلود قادتها تستمد بقاءها وخلودها من إخلاص قادتها وتفانيهم في سبيل الإسلام والمثل العليا ما دام التاريخ)[16] ■

الهوامش:

(١) من وحي الثورة الحسينية، هاشم الحسيني،١/٣.

(٢) ينظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٣٢٩/٤٤.

(٣) ينظر: كلمات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الشريفي، ٣٥٢/١.

(٤) ينظر، بحار الأنوار، ١٦٢/٧٤.

(٥) ينظر، المصدر نفسه، ٧/٤٥.

(٦) ينظر: كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ٤٢١/١.

(٧) سورة البقرة/ ٦١.

(٨) بحار الأنوار، ١١٧/٤٥.

(٩) سورة الأنعام/ ٧٠.

(١٠) سورة الأنبياء/ ١٠١.

(١١) ينظر: بحار الأنوار، ٢٢٧/٩٥.

(١٢) ينظر: سورة الإسراء/ ٧٠.

(١٣) ينظر: سورة المطففين/ ١٨-٢١.

(١٤) ينظر: الإمام الحسين عليه السلام على قمة هرم الحضارة الإنسانية، د.أحمد راسم النفيس، الأستاذ بكلية الطب، جامعة المنصورة، مصر، بحث، دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام، القسم الثالث، ص٢٦٣-٢٧٥.

(١٥) ينظر: نبذة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام، منتدى الزهراء عليها السلام.

(١٦) من وحي الثورة الحسينية، ٣/٢.

## روايات في الإمام الحسين عليه السلام

ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: من أحب أن يكون مسكنه الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم، قلت: ومن هو، قال عليه السلام: الحسين بن علي عليهما السلام صاحب كربلاء من أتاه شوقا إليه وحبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وحبا لأمير المؤمنين عليه السلام وحبا لفاطمة عليها السلام، أقعده الله على موائد الجنة، يأكل معهم والناس في الحساب.

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من أراد الله به الخير قذف في قلبه حب الحسين عليه السلام وحب زيارته، ومن أراد الله به السوء قذف في قلبه بغض الحسين عليه السلام وبغض زيارته.

ـ قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سره أن يحيى محياي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن، فيلزم قضيبا غرسه ربي بيده، فليتول عليا والأوصياء من بعده، وليسلم لفضلهم، فإنهم الهداة المرضيون، أعطاهم الله فهمي وعلمي، وهم عترتي من لحمي ودمي، إلى الله أشكو عدوهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، والله ليقتلن ابني، لا أنالهم الله شفاعتي.

ـ عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين ابن علي عليهما السلام حتى ذرفت دموعها.

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إن السماء بكت على الحسين بن علي عليهما السلام ويحيى بن زكريا عليهما السلام ولم تبك على أحد غيرهما، قلت: وما بكاؤها، قال عليه السلام: مكثوا أربعين يوما تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة، قلت: فذاك بكاؤها، قال عليه السلام: نعم

ـ عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكة، فقلت: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله مالي أراك كئيبا حزينا منكسرا، فقال عليه السلام: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسألتي، قلت: فما الذي تسمع، قال عليه السلام: ابتهال الملائكة إلى الله عز وجل على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليهما السلام، ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتهنأ مع هذا بطعام أو بشراب أو نوم.

ـ عن داود بن فرقد، قال: كنت جالسا في بيت أبي عبد الله عليه السلام، فنظرت إلى الحمام الراعبي يقرقر طويلا. فنظر إليَّ أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا داود أتدري ما يقول هذا الطير، قلت: لا والله جعلت فداك، قال عليه السلام: تدعو على قتلة الحسين بن علي عليهما السلام فاتخذوه في منازلكم.

ـ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذىً مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله، عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار.

**(كامل الزيارات/ ابن قولويه القمي)**

# قبس..

# من آثار النهضة الحسينية


• م. فارس عطية محمد

المعهد التقني/ النجف الأشرف


ينابيع

الإحاطة بحركة الإمام الحسين عليه السلام إحاطة تامة طريق مسدود، فلا يستطيع عالم أو فيلسوف أو مفكر أو عاشق أن يدعي أنه أحاط بشكل تام بالنهضة الحسينية، فكل شخص سواء كان مسلمًا أو مسيحيًا أو من أي مذهب آخر إنما يتزود منها بقدره لا بقدرها.

ولكن للنهضة الحسينية آثار على المجتمع الإسلامي على امتداد الزمن والمجتمع الإنساني على طول التاريخ، سأعرض لها بشكل مقتضب، ولعلي أوفق إن شاء الله في التوسع في آثار النهضة الحسينية المباركة في وقت آخر .

## أولاً: البعد الديني:

لعل من أهم الآثار التي تركتها نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي إسقاط الشرعية الدينية عن الحكم بشكل تام، حيث إن الناس كانوا يأخذون الحكم الشرعي من الحكام، باعتبار أن الحاكم هو ظل الله في الأرض وأنه يمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه خليفته المفروض طاعته من الله ﴿**يَآ أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ أَطيعُواْ اللهَ وَأَطيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (النساء:٥٩).

وبواقعة كربلاء انكشف للأمة زيف الحكام تماماً، وأنهم لا يمثلون شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بأي وجه من الوجوه.

فنرى معاناة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد أن يغير السنة التي سنها الشيخان فقال بعضهم غيّرت السُنة أو (سُنة عمر) وكذلك وضع عبد الرحمن بن عوف سنة الشيخين شرطًا لإعطاء البيعة في مؤامرة الشورى، لذا فإن من أكبر نتائج النهضة الحسينية المقدسة وثمارها هي إسقاط

الشرعية الدينية أو سلطة التشريع عن الحكام.

## ثانياً: البعد العاطفي:

إن مودة أهل البيت عليهم السلام فرض من الله عز وجل على المسلمين ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ (الشورى:٢٣). وقد فهم المسلمون هذا المعنى، إلا أن السياسة الأموية خاصة حاولت بكل ما تملك إبعاد المسلمين عن أهل البيت عليهم السلام عاطفياً وتحريف تفسير القربى، وبتقادم الزمن ومرور الأيام ودخول أمم أخرى في الإسلام وانقراض دائرة الصحابة، هذه العوامل تسببت في حالة من التراخي تجاه مودة أهل البيت عليهم السلام.

فكانت لواقعة كربلاء القدرة على إحداث هزة عميقة في عواطف المسلمين تجاه أهل البيت عليهم السلام ومظلوميتهم الكبيرة، أبرزت وجهها كربلاء، سبب كبير في ارتباط المسلمين العاطفي مع أهل البيت عليهم السلام لأن الجماهير بطبيعتها تتعاطف مع المظلومية.

وقد ركز أهل البيت عليهم السلام بعد كربلاء على الجانب العاطفي، فشرّعوا البكاء على الحسين عليه السلام وحثوا عليه كثيراً فأصبح من الشعائر المسنونة لأن أقصى درجات التأثر العاطفي هو البكاء ونحن نرى أن العاطفة لها دور كبير للارتباط بأي فكر فهناك تلازم وجداني بين العاطفة والفكر.

نرى اليوم هجومًا ضخمًا من أعداء أهل البيت عليهم السلام على سنة البكاء، وذلك لأن مدرسة البكاء لها دور كبير في تجذير حب أهل البيت عليهم السلام وولائهم في نفوس المسلمين فيهاجمون هذا النهج بكل قوة وذلك لسلب قوة هذا المؤثر. ونرى اليوم مئات الملايين الذين يحيون ذكرى عاشوراء في مواكب اللطم والمسير إلى كربلاء والحزن لما جرى على أهل البيت عليهم السلام يشكلون سببًا في انتشار رقعة

التشيع.

ولو قدر لنا أن نحصي الذين تأثروا عاطفياً بكربلاء ودخلوا الإسلام وانجذبوا إلى التشيع على مدى التاريخ، أكثر من الذين تأثروا فكرياً بكربلاء ودخلوا الإسلام أو انجذبوا إلى التشيع.

## ثالثاً: البعد الاجتماعي:

إن الظلم والاستبداد الأموي قد أثر في نفوس الأمة، فكان الإرهاب بلا حدود، قتل وسجن وتجويع وتشريد وتنكيل لكل من يعارض بني أمية أو يوالي آل علي عليهم السلام.

مما أصاب الأمة بشلل تام، استسلمت على إثره للظلام الأموي، لكن الإمام الحسين عليه السلام كان هو الفجر الجديد للإسلام بعد فجر جده المصطفى صلى الله عليه وآله. فمزق ظلام الأمويين وأرجع للأمة القدرة على الحركة من جديد حيث أثرت النهضة الحسينية على بلورة دور الأمة في معارضة الظلم عامة والاستبداد الأموي خاصة فتتابعت الثورات ضد الأمويين منهية فترة الغطرسة المقيتة التي عاشتها الدولة الأموية منذ أيام مؤسسها الملعون على لسان رسول رب العالمين (معاوية)، وتمزق عن الأمة جلباب الخوف من الموت، وأصبح الموت من أجل الإسلام الحقيقي مطمع الأحرار حتى تضعضع العرش الأموي وانهار على رؤوس الأمويين بفضل حب التضحية والشهادة التي بثتها كربلاء في روح الأمة وإخراجها من حالة الموت السريري الذي كانت تعيشه في عصر معاوية ■

## مدن إسلامية..

# ولاية لكنهو..

عزيزي القارئ: هل تعلم ما هي الدولة الشيعية الأكبر في العالم؟ إنها الهند(٨٤) مليون هندي شيعي عاشق للحسين عليه السلام. ولاية (لكنهو) قم أو نجف الهند، وعاصمتها مدينة لكنهو ،مدينة لكنهو هي عاصمة ولاية لكنهو

يبلغ عدد الشيعة في الهند ٨٤ مليوناً، وبهذا العدد تعد أكبر دولة في العالم تضم شيعة، ففي مدينة لكنهو وحدها فقط هناك حوالي أربعه (٤) ملايين نسمة كلهم شيعة إمامية اثنا عشرية،هذا في المدينة.

أما في ولاية لكنهو فعدد سكان الولاية حوالي الـ(٢٢) مليون نسمة، الغالبية العظمى منهم هم على المذهب الشيعي الاثني عشري، لا بل ويهيمون عشقًا وولاء بالعترة الطاهرة عليهم السلام (حيث إن ولاية لكنهو وحدها تعادل عدد شيعة العراق مجتمعين).

وتعتبر ولاية لكنهو ومدينتها ولاية صافية خالصة للشيعة على عكس كل ولايات الهند، الأخرى التي يوجد فيها اختلاط بين مختلف الأديان بالهند حيث تشكل لكنهو العمق الروحي والعلمي للشيعة في الهند، ويمكننا أن نطلق عليها لقب قم أو نجف الهند لما تحتويه من عشرات الحوزات العلمية وآلاف المساجد والحسينيات المنتشرة في كل أرجائها، ويوجد الآن في لكنهو ما يقارب الـ(١٠٠٠) عالم بين سيد وشيخ.

ويكفي أن تتجول في شوارعها لتشاهد الصبغة الدينية للمدينة حتى ليخيل إليك أنك تمشي في النجف الأشرف أو قم المقدسة، وفيها أيضًا عشرات المراكز الدينية والثقافية والأدبية.

أما عاشوراء في لكنهو فقصة ثانية، وأكاد أجزم أن العاشر من محرم في لكنهو هو الأعظم على امتداد العالم، فتتشح المدينة بالسواد الشامل وتتردد في أجوائها مجالس العزاء، وأهم ما في الأمر المسيرات العزائية الضخمة والتي يخرج بها أغلب سكان المدينة ويتقاطر إليها مئات الآلاف من الولاية وغيرها من مدن الهند، وفي لكنهو كما سائر الهند طقوس خاصة بعاشوراء تعبر عن مدى ولاء أهل المدينة والهند عمومًا لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسيد الشهداء الحسين عليه السلام، فترى الكل يلطم الصدور ويشق الرؤوس، وهناك مشهد مهيب وهو المشي على الجمر تأسيًا بعقيلة بني هاشم زينب عليها السلام حينما أخذت تهرول بين الخيم المحترقة حتى اسودت قدماها.

أخيرًا ينبغي الإشارة إلى أن لمدينة لكنهو فضلاً كبيرًا في انتشار التشيع في عدد من البلاد وخاصة بلاد شرق آسيا وبعض البلاد الأفريقية حيث توجد جاليات هندية تعد بعشرات الملايين من شيعة آل البيت عليهم السلام، وتقوم الحوزات العلمية والمراكز الدينية بالمدينة بإرسال الدعاة والعلماء لتثقيف الهنود الشيعة مما يؤدي إلى استبصار الآلاف من أهل تلك البلاد.

# الإمام الحسين عليه السلام في الكتابات والدراسات الغربية

**الشيخ ليث عبد الحسين العتابي** •
أستاذ في الحوزة العلمية

**ينابيع** لقد حظي الإمام الحسين عليه السلام باهتمام كبير في كتابات ودراسات المستشرقين والكتاب الغربيين وغير الغربيين ، بل قد حظي الإمام الحسين عليه السلام باهتمام أكثر المفكرين من جميع دول العالم ومن مختلف الديانات، في كتابات مستقلة أو متضمنة بشكل حيادي وآخر انتقادي ، بإسهاب و تفصيل أو إيجاز واختصار. المهم أن الكتابة عن الإمام الحسين عليه السلام مثلت وشكلت حيزاً ومكاناً بارزاً ومهماً في المكتبة العالمية والعربية والإسلامية.

وسنحاول التركيز في أهم وأبرز وأشهر الدراسات الغربية التي تناولت الإمام الحسين عليه السلام ، مراعين في ذلك الاختصار والفائدة، ومعتذرين عن الخطأ والنسيان .

## أولاً: الدراسات الألمانية:

١ـ كتب البروفيسور الألماني يوليوس فلهاوزن (j.willihausen) كتاب (أصول التشيّع) طبع في برلين سنة (١٨٩٩ ميلادي).

ويُعدّ يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤-١٩١٨م) من المستشرقين الألمان المشهورين الذين تخرجوا من جامعة (غتنغن) في قسم اللغات الشرقية، كان (فلهاوزن) على اتصال دائم بالتاريخ الإسلامي، فترجم قسماً من كتاب (المغازي) إلى اللغة الألمانية، وقد نشرت الترجمة في برلين عام (١٨٨٢م)، وألف كتاباً آخر وهو (المقدمة في التاريخ الإسلامي)، ثم قام بتصحيح كتاب (تاريخ الطبري) عام (١٨٨٧م)، أما فيما يتعلق بدراستيه حول الحسين بن علي عليه السلام وحادثة كربلاء فهما:

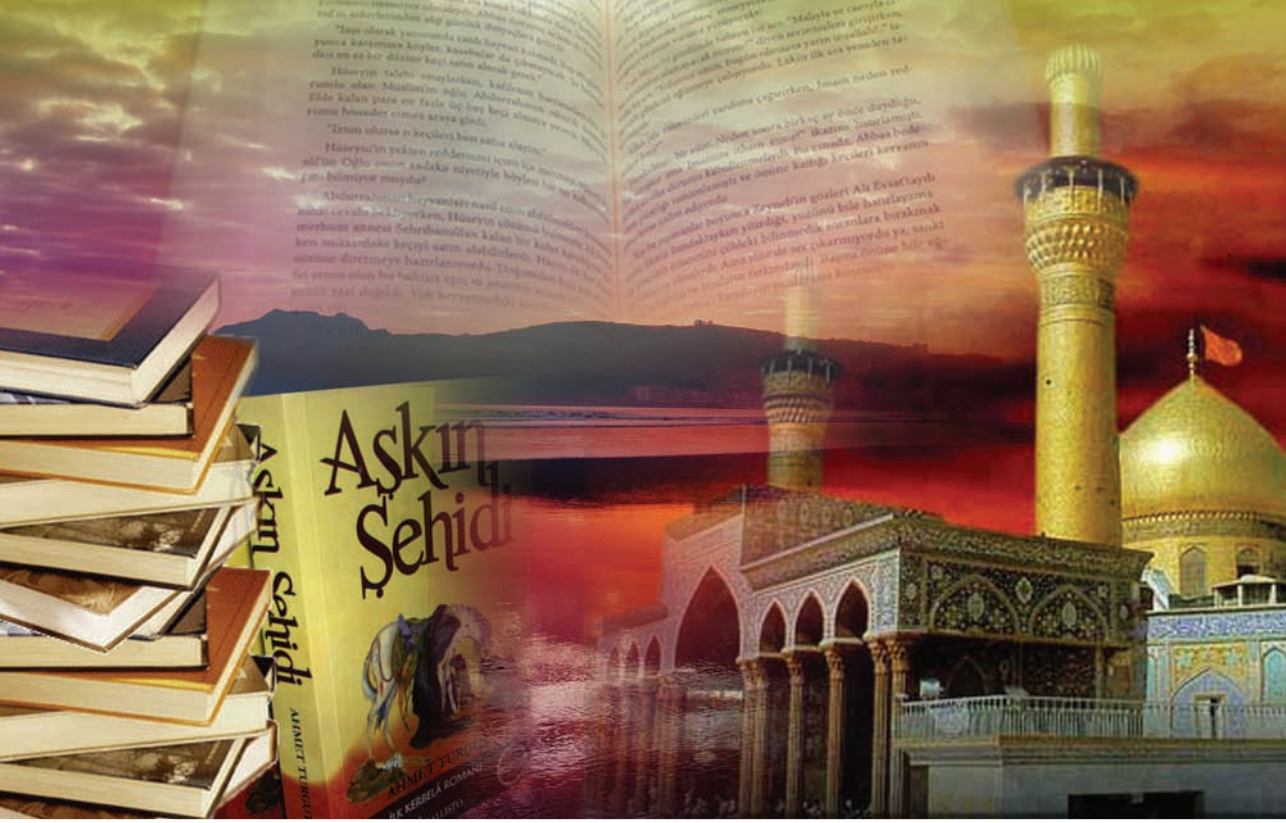


أ - معارضة الأحزاب السياسية والدينية في التاريخ الإسلامي ، نشر عام (١٩٠١م).

ب - الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية وسقوطها، وقد نشر في برلين عام (١٩٠٢م).

وقد ترجم (غراهام) هذا الكتاب إلى الإنجليزية، و نشر بعنوان (مملكة العرب وسقوطها).

كما وتُرجم هذا الكتاب مرتين إلى اللغة العربية فكانت الترجمة الأولى لـ(يوسف العش) الذي نقله من اللغة الإنجليزية ونشر في دمشق عام (١٩٥٦م)، فيما كانت الترجمة الثانية لـ(محمد عبد الهادي أبو ريده) عن النصين الألماني والإنجليزي، ونشر في القاهرة عام (١٩٥٧م).

٢- حقق البروفيسور الألماني فستفلد (wustenfield) المتخصص في التاريخ الإسلامي والأدب العربي والذي أنهى دراساته العلمية في جامعات (هانوفر) و(برلين) كتاباً عن الإمام الحسين عليه السلام تحت عنوان (موت الحسين) اعتمد فيه على أبي مخنف في كتابه (مقتل الحسين) طبع في كويتنكن (١٨٨٣م).

٣- البحث الذي كتبه المستشرق الألماني (هونغمان) E . Honigman عن كربلاء في دائرة المعارف الإسلامية أشار فيه إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وإلى دفنه في الحائر.

٤- الكتاب الذي ألفه الكاتب والمؤلف الألماني (رودلف شتروسمان) (strothman) بعنوان (الشيعة الاثنا عشرية) وطبع في لايبزك (١٩٢٦م).

كما كتب رودلف شتروسمان عدة بحوث حول التشيع في دائرة المعارف الإسلامية.

٥- ألف المستشرق الألماني تيودور نولدكه (Th, Noldeka) كتاباً عن الإمام الحسين عليه السلام تناول في مقدمته التشيع في التاريخ ، طبع في برلين عام (١٩٠٩م).

٦- ألف المستشرق الألماني هاينز هالم (Heinz Halm) كتاباً تحت عنوان (الشيعة) طبع سنة (١٩٨٨م). قامت دار الوراق بطباعته سنة (٢٠١١ ميلادي) ترجمة (محمود كبيبو).

٧- كان لأوغست مولر (١٨٤٨ -١٨٩٢) وهو ابن الشاعر الألماني الكبير (ويلهم مولر)، وخريج جامعات (ليبزك) و(فيين) في اللغات الشرقية، الكتب الكثيرة والمقالات المختلفة في مجال التاريخ الإسلامي، ويعد كتاب (الإسلام في الشرق والغرب) واحداً من أهم مؤلفاته، فهو في الواقع عبارة عن تتمة لعمل (نولدكة)، ويدور قسم كبير من هذا الكتاب حول الحسين بن علي عليه السلام، كما يُعدُّ من الناحية الزمنية من أقدم الأبحاث والدراسات التي تناولت حادثة الطف.

٨- كتابات المستشرق الألماني (فايل) في كتابه (تاريخ الخلفاء) الذي يقع في ثلاثة أجزاء، إذ تطرق للحديث عن واقعة الطف خلال حديثه عن يزيد بن معاوية مشيراً إلى كونها حادثة مأساوية، و طبع في مانهيم (١٨٤٦ - ١٨٥١م).

وله كتاب آخر هو (تاريخ شعوب الإسلام) طبع في شتوتجارت عام (١٨٦٦م).

٩- ما قام به المستشرق الألماني (كارل إدوارد سخاو) (١٨٤٥ - ١٩٣٠م) من ترجمة للمجلدات الأربعة الأولى من (طبقات ابن سعد)، وذلك ما بين عامي (١٩٠٤م) و(١٩١٨م).

١٠- نشر المستشرق الألماني (جوزيف هورفتس) (١٨٧٤ -١٩٣١م) كتاب (هاشميات الكميت بن زياد الأسدي) وذلك عام (١٩٠٤م) لما لها من أهمية تاريخية ودينية.

١١- كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) للمستشرق الألماني (كارل بروكلمان) (١٨٦٨ -١٩٥٦م).

١٢- كتاب المستشرقة الألمانية (آنا ماري شميل) (١٩٢٢- ٢٠٠٣م) (كربلاء والإمام الحسين في الأدب الإسلامي والفارسي والهندي).

## ثانياً: الدراسات الإنكليزية:

١- ألف الكاتب الإنكليزي (السير لويس بيلي) (pelly) سنة (١٨٧٩م) كتاباً بجزأين عن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام طبع في لندن، تحت عنوان (التمثيلية الإعجازية للحسن والحسين).

٢- دوايت م. رونلدسن المستشرق الإنجليزي، والذي لديه الكثير من الدراسات حول الشيعة، نشر كتاب (عقيدة الشيعة في الإمامة) عام (١٩٣١م)، وبعد ذلك نشر كتاب (المذهب الشيعي) أو (عقيدة الشيعة) أو (الديانة الشيعية) والذي طبع في لندن عام (١٩٣٣م)، والذي يحوي قسماً عن الإمامة والحسين بن علي عليهما السلام.

٣- كتب المستشرق الإنكليزي مارشال هودجسون (Hodgson) بحثاً بعنوان (كيف أصبح الشيعة فرقة؟) طبع سنة (١٩٥٥م).

٤- كتب المستشرق الإنكليزي الاسكتلندي الأصل مونتغمري واط (Montgomery Watt) بحث بعنوان (الشيعة في العهد الأموي) طبع سنة (١٩٦٠م).

٥- وكتب مونتغمري واط (Montgomery Watt) كتاباً آخر هو (المراحل الأولى للتشيع الإمامي) طبع سنة (١٩٨٣م).

٦- وكتب مونتغمري واط

(Montgomery Watt) بحثًا آخر هو (الروافض دراسة تمهيدية) طبع سنة (١٩٦٣م).

٧- كتب المستشرق الإنكليزي برنارد لويس (B. Lewis) عن (أصول الإسماعيلية) طبع سنة (١٩٤٠م) وقف فيها على آثار فاجعة كربلاء الحسين عليه السلام على الواقع التاريخي للتشيع.

٨- كتب المستشرق الإنكليزي جويس ويللي (Joyce wiley ) كتاب (الحركة الإسلامية للتشيع في العراق ) طبع في لندن سنة (١٩٩٢م).

٩- كتب المستشرق الإنكليزي والجنرال السير برسي سايكس كتاب (مجد أو تألق عقيدة شيعة العالم) طبع سنة (١٩١٠م) تحدث فيه عن الآثار التي جاءت بها فاجعة كربلاء.

١٠- شكلت الترجمة الإنجليزية لكتاب الشيخ المفيد (الإرشاد) منطلقاً للمطالعة، ومصدراً لدراسات المستشرقين حول كربلاء والإمام الحسين عليه السلام، فمن باب المثال تدين مقالة (Husain ibn ali) (الحسين بن علي) في دائرة معارف العالم الإسلامي الجديد بالكثير من الفضل لهذا الكتاب.

١١- ترجم (هافارد) القسم الذي يتحدث عن خلافة يزيد بن معاوية من كتاب (تاريخ الطبري) إلى اللغة الإنجليزية، والذي شكل مصدراً للباحثين الغربيين ودراساتهم فيما بعد.

١٢- شكل كتاب (مسكويه الرازي): (تجارب الأمم و تعاقب الهمم) (... ٤٢١هـ) محط اهتمام المستشرقين، حيث قام المستشرق الإنجليزي (هنري فردريك آمدروز) بتصحيحه ونشره، وساعده (مارغوليوث) في كثير من الأجزاء، و قد تمت بعد مدة ترجمة خلاصة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية.

كما تناول (مارغوليوث) موضوع ثورة الإمام عليه السلام في كتابه (الأمويون والعباسيون).

١٣- وقف المبشر البريطاني (كانون سيل) في كتابيه على سيرة الإمام الحسين عليه السلام وثورته، أولاً في كتابه (عقيدة الإسلام) المطبوع في لندن سنة (١٨٩٦م)، وثانياً في كتابه (الأئمة الأثني عشر) المطبوع في الهند سنة (١٩٢٣م) عندما كان مبشراً هناك، وقد اعتمده (دونالدسون) عند تطرقه إلى سيرة الإمام الحسين عليه السلام وثورته.

١٤- كتب (السير جون مالكولم) دراسة بعنوان (تاريخ بلاد فارس) بجزأين والمطبوع في لندن عام (١٨٢٩م)، تناول فيها الشعائر الحسينية والتعازي.

١٥- كتاب (غي لسترنج) ، الموسوم بـ(بلدان الخلافة الشرقية)، والمطبوع في كامبردج عام (١٩٠٥م).

١٦- كتاب (الرحلة إلى كلدة وسويسان) للمستشرق الإنكليزي (وليم كنت لوفتس) (١٨٢٠ - ١٨٥٨م)، وهو عالم آثاري مشهور، قام باكتشاف مدينة (أور) في العراق سنة (١٨٤٠م).

١٧- كتاب (الجزية العربية) للمستشرق الإنكليزي (د. ج. هوكارت).

١٨- كتاب (رحلة إلى العراق) للمستشرق الإنكليزي (جون أشر) (ت١٨٧٤م).

١٩- كتاب (تاريخ العراق من أقدم العصور إلى يومنا هذا) أو (الرافدان) للمستشرق والآثاري الإنكليزي (ستيون لويد) (١٩٠٢ ....م).

٢٠- كتاب (الإسلام في مرآة الغرب) للكاتبة الإنكليزية (كارين آرمسترونغ).

٢١- كتاب (الشيعة) للمستشرق الإنكليزي

د. فيلـوت) (١٨٦٠ ـ ١٩٣٠م)، والذي صـدر عـام (١٩١١م)، وكان (فيلـوت) عقيـداً فـي الجيش الإنكليزي.

## ثالثاً: الدراسات الفرنسية:

١ـ هنـري لامنس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م) وهو مـن أصل فرنسـي، لكنه ولد فـي بلجيكا، وقد لحق في عام (١٨٧٨م) بسلك الرهبنة، وتخرج من جامعة القديس يوسـف (سـان جوزيـف) فـي بيـروت فـي قسـم الأدب العربي، لديـه العديد من المقالات والكتب حول التاريخ الإسـلامي، ألـف كتابه الأول الذي يدور حول الحسـين بن علي عليه السلام وهو (فاطمة وأبناء محمد)، وقد نشـر في روما عام (١٩١٢م).

بعد ذلك قرر أن يدخل مع فريق مؤلفي (دائـرة المعارف الإسـلامية/ ليدن) إذ كتب مقالة (الحسـين بن علـي) واعتمد فيها على كتاب (فاطمة وأبناء محمد).

نشـر (لامنس) كتاب (حكومـة الخليفة الأمـوي معاوية) في باريـس عام (١٩٠٦م)، فـي (٤٤٨) صفحـة، وتضمـن كلاماً حول شخصية الإمام الحسين عليه السلام وثورته.

كمـا وكتب (لامنـس) كتاباً كبيـراً حول يزيد بن معاويـة، حمل عنوان (خلافة يزيد الأول)، وقد نشـرته دار النشر الكاثوليكية عام (١٩٢٢م)، وتجدر الإشـارة إلى أن هذا الكتاب تضمن حوالي خمسـين صفحة عن الحسين بن علي عليه السلام، و يبدو كأنه نشر قسماً أو خلاصة له فـي مجلة (MFO) مجلد (٥، ١٩١١: ٨٠ ـ ١٢٩).

٢ـ كتب المستشـرق الفرنسـي شـارل فيرولو (Ch.Virolleaud) كتاباً عن الإمام الحسـين عليه السلام بعنوان (آلام ومصـاب الإمام الحسين) طبع في باريس عام (١٩٢٧م).

٣ـ كتـب الكاتـب الفرنسـي كلمـرد (J.Culmard) كتابـاً تحت عنـوان (تبجيل الإمام الحسـين: دراسـة في ذكـرى دراما كربـلاء فـي إيران قبـل الفتـرة الصفوية) والذي حصل بموجبه على شـهادة الدكتوراه من جامعة باريس عام (١٩٧٣م).

٤ـ قامت فرنسـا بعقـد المؤتمر الأول عن التشـيع الذي عقد في ستراسبورغ عام (١٩٦٨م) بعنـوان (الشـيعة الإمامية)، إذ قدمـت فيه بحوث تتناول عـدة جوانب من التشـيع فكـراً وعقيدة وتراجـم عن أعلام الشيعة، وتم تحقيق هذه البحوث وطبعها في باريس عام (١٩٧٠م)، وكان من المستشرقين المشـاركين في المؤتمر (ولفرد مادولنك، هنـري كوربـان ، آن لامبتـون، غراماليج، يارون لننت، دي بيليفوندز، هنري ماسيه، برونشـفيك) وحضر هذا المؤتمر السـيد (موسـى الصدر) من لبنان، والبروفيسـور (حسين نصر) من إيران.

٥ـ كتاب المستشـرق الفرنسـي (هنري كوربـان) الموسـوم بـ(الشـيعة الأثنـي عشـرية)، ترجمة (ذوقان قرقوط)، طباعة (مكتبة مدبولي).

وقد كان لهنري كوربان مع السيد محمد حسـين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان لقـاءات كثيـرة ومتعددة أدت بـه إلى تفهم الفكر الشيعي بالشكل الصحيح.

٦ـ مـا كتبه الدبلوماسـي والمستشـرق الفرنسي (جوبينو) (M . De Gobineau) فـي كتابـه (الأديان والفلسـفات في آسـيا الوسـطى)، المطبـوع فـي باريـس عـام (١٨٦٦م).

٧ـ ومـا كتبه الرحالة الفرنسـي (موريه) (Morier) تحـت عنـوان (الرحلـة الثانية

في بلاد فارس)، المطبوع في باريس عام (١٨١٨م).

٨- تحقيق كتاب (مروج الذهب للمسعودي) من قبل المستشرق الفرنسي (أدريان باربييه دي مينار) (١٨٢٧-١٩٠٨م)، مع ترجمة فرنسية وتعليقات، وقد تعاون معه في المجلدات الثلاثة الأولى (بافيه دي كورتاي) (١٨٢١-١٨٨٩م)، ثم استقل هو بالعمل في الأجزاء الستة الباقية، وظهر تحت عنوان (Les Prairies Dor) في تسعة أجزاء في باريس (١٨٦١-١٨٧٧م).

٩- كتاب (تاريخ العرب) للمستشرق الفرنسي (لوي بيير سديو) (١٨٠٨-١٨٧٥م)، والمطبوع في باريس عام (١٨٥٤م).

١٠- كتاب (سلمان الفارسي والبواكير الروحية للإسلام في إيران) للمستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) (١٨٨٣-١٩٦٢م).

وله بحث بعنوان (فاطمة بنت الحسين عليهما السلام وأصل الأسرة الفاطمية) نشره في مؤتمر المستشرقين رقم (٢٤) في عام (١٩٥٣م).

١١- كتاب (أهل الإسلام) للمستشرق والراهب الفرنسي (لويس غارديه) (١٩٠٤ ....م).

١٢- كتاب (خلاصة تاريخ العرب) للمستشرق الفرنسي (جان جاك سيديو) (١٧٧٧ - ١٨٣٢م).

١٣- الدراسات التي قام بها المستشرق الفرنسي (دومينيك سورديل) (١٩٢١ ...م).

١٤- دراسات المستشرق الفرنسي (ف. س. وان. رونكيل) (١٨٧٠ - ١٩٥٤م).

١٥- دراسات المستشرق الفرنسي (سايريج) (١٩٠٥ - ١٩٧٣م).

١٦- دراسات المستشرق الفرنسي (ب. روندو) (١٩٠٩ ....م).

١٧- دراسات المستشرق الفرنسي (جاك بيرك).

١٨- دراسات المستشرق الفرنسي (ج. فايدا) (١٩٠٨ ....م).

١٩- دراسات المستشرق الفرنسي (كلود كاهين) (١٩٠٩ ....م).

٢٠- دراسات المستشرق الفرنسي (شارل بيلا) (١٩١٤ ....م).

وهناك دراسات غربية أخرى (أمريكية وإيطالية وهولندية وغيرها) لم يسع المقام لذكرها ولعلنا نوفق في مناسبة أخرى للتطرق لها ■

**الهوامش:**

* **الموضوع مقتطف من بحث مطوّل للباحث (الشيخ ليث عبد الحسين العتابي) تحت نفس العنوان.**

(١) **يوليوس فلهاوزن أو (ولهاوزن)، (١٨٤٤ - ١٩١٨)، مستشرق ألماني .**

(2) Wellhausen، Julius، Die religioes – politishen، OP. Cit (Berlin 1901).

(٣) **هنري فردينند فستنفلد، (١٨٠٨ - ١٨٩٩ م)، مستشرق ألماني كبير، أما أعماله فكثيرة جداً ولا يضاهيه فيها غير (غوستاف فلوجل)، يراجع لذلك (طبقات المستشرقين، ص٥٨، ٦١، لعبد الحميد صالح حمدان) .**

(٤) **معجم المطبوعات العربية و المعربة، يوسف إلياس سركيس، ج٢ ص١٩١٧- ١٩١٨.**

(5) (Karbala) in Encyclopedia of Islam (New Edition) Volume. 4. Pp 637 – 39.

(٦) **رودولف شتروسمان، (١٨٧٧ ١٩٦٠)، مستشرق ألماني لاهوتي كبير له عشرات المؤلفات.**

(٧) **تيودور أو ثيودور نولدكه، (١٨٣٦ ١٩٣١)، شيخ المستشرقين الألمان وأستاذهم**

وملهمهم.

(٨) هاينز هالم، (١٩٤٢ ....)، مستشرق ألماني درس العلوم الإسلامية والسامية والعصور الوسطى.

(٩) سيمون فايل، (١٨٠٨ ـ ١٨٨٩)، مستشرق ألماني.

(10) Weill، G . Geschichte der Califen (Mannheim 1846 – 61) .

(11) Pelly ، Sir Lewis، The Miracle. London 1879.

(١٢) دوايت م . دونالدسون أو (رونلدسن) (ت١٩٥٨ ميلادي)، مستشرق إنجليزي، لديه الكثير من الدراسات حول الشيعة، نشر كتاب (عقيدة الشيعة في الإمامة) عام (١٩٣١) ميلادي، وبعد ذلك نشر كتاب (المذهب الشيعي) عام (١٩٣٣) ميلادي، والذي يحوي قسماً عن الإمامة والحسين بن علي عليه السلام، دكتور في اللاهوت، ودكتور في الفلسفة.

(١٣) برنارد لويس، (١٩١٦ .... م)، مستشرق إنكليزي الأصل أمريكي الجنسية.

(١٤) السير بيرسي سايكس أو سايكوس، (١٨٦٧ ـ ١٩٤٥م) يعد من رجال السياسة و الحرب في بريطانيا، فقد أنشأ أول قنصلية في القرم وبلوخستان (١٨٩٨) وأشترك في العمليات الحربية في جنوب أفريقيا (١٩٠١) وفي فرنسا (١٩١٤) وعين قنصلا عاما في تركستان الصينية (١٩١٥) وقائدا عاما في جنوب فارس (١٩١٦ ـ ١٩١٨) واعتزل خدمة الحكومة (١٩٢٠) وقد نال أوسمة عديدة لخدمته للتاج البريطاني.

(15) Sykes، Sir Prcy، The Glory of the Faith of Shiah World (London 1910).

(16) the oxford encyclopedia of the moderns Islamic world _ vol _2 _ p 150151-.

(17) I . K . A . Howard.

(18) Oemiw_ vol _ 2 _ p 150.

(١٩) هنري فردريك آمدروز، (١٨٥٤ ١٩١٧)، مستشرق انكليزي، سويسري الأصل.

(٢٠) ديفيد صموئيل مارغوليوث أو مارجوليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠) ميلادي، مستشرق إنكليزي معروف.

(21) Margoliouth، D. S. Umayyads and Abbasids (Gibb Memorial series Volumel .4.

(٢٢) كانون أدورد سيل، بن وليم جون سيل، مستشرق أنكليزي.

(23) Canon Sell، Faith of Islam (London 1896).

(٢٤) السير جون مالكولم، مقدم في الجيش الإنكليزي، ومستشرق في نفس الوقت.

(25) Malcolm، J. History of Persia. (London 1829).

(٢٦) غي لسترنج (١٨٥٤ ـ ١٩٣٤) مستشرق إنكليزي.

(٢٧) مؤلفة بريطانية لعدة كتب في مقارنة الأديان وعن الإسلام، كانت راهبة كاثوليكية لكنها تركت الكاثوليكية، وهي عضو في الحلقة الدراسية عن عيسى، من أقوالها: (كل التقاليد العظيمة تقول تقريباً الشيء نفسه بالرغم من الاختلافات السطحية).

(٢٨) المستشرقون، نجيب العقيقي، ج٣ ص١٠٦٨.

(٢٩) هنري كوربان، (١٩٠٣ ـ ١٩٧٨) مستشرق فرنسي كبير.

(٣٠) جوبينو، كونت فرنسي مهتم بالجغرافية والرحلات، استعان في بعض كتاباته بالمستشرق الفرنسي (دي مينار ١٨٢٧ ـ ١٩٠٨).

## الحسين عليه السلام.. في مقالات غير المسلمين

**ـ أنطوان بارا، مسيحي:**
لو كان الحسين عليه السلام منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين عليه السلام.

**ـ المستشرق الإنجليزي إدوار دبروا:**
وهل ثمة قلب لا يغشـاه الحزن والألم حين يسـمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها.

**ـ الكاتب الإنجليزي المعروف كارلس السير برسي سايكوس ديكنز:**
إن كان الإمام الحسين عليه السلام قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النسـاء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنه ضحى فقط لأجل الإسلام.

**ـ الهندوسي والرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي تاملاس توندون:**
هذه التضحيات الكبرى من قبيل شـهادة الإمام الحسـين عليه السلام رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام.

**ـ موريس دوكابري:**
يقـال فـي مجالس العـزاء إن الحسـين عليه السلام ضحى بنفسـه لصيانة شـرف الناس وأعراضهم، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط يزيد ونزواته، إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاسـتعمار، ونفضـل الموت الكريم على الحياة الذليلة.

**ـ توماس ماساريك:**
على الرغم من أن القساوسـة لدينا يؤثرون على مشـاعر الناس عبر ذكر مصائب المسيح، إلا أنك لا تجد لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى أتباع الحسين عليه السلام الذي لا تمثل إلا قشة أمام طود عظيم.

**ـ العالم والأديب المسيحي جورج جرداق:**
حينما جنّد يزيد الناس لقتل الحسين عليه السلام وإراقة الدماء، كانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحسـين عليه السلام فكانوا يقولون لو أننا نقتل سـبعين مرة، فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضا:.

# يصح الوجهان

ضياء حسن •

## سأبكي حسيناً سواءٌ طال الدهر أو قصر:

ينابيع

وصلتنا رسالة من أحد القراء الأعزاء يخطِّئُ فيها عبارةً وردت في آخر فقرة من (يصح الوجهان) من عدد (ينابيع) الماضي، أشرنا فيها إلى صحة الوجهين في قولنا (ثلاثمئة) سواءٌ كتبنا الألف مع المائة (ثلاثمائة)، أو حذفناها (ثلاثمئة)؛ وسواءٌ فصلنا المائة عن العدد (ثلاث مائة) أو وصلناها (ثلاث مئة)، وسبب اعتراض القارئ الكريم أننا استخدمنا (أو) بعد همزة التسوية بدلاً من (أم).

المشهور عند علماء اللغة استعمال (أم) بعد همزة التسوية، ففي التنزيل {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}/البقرة٦. أي سواءٌ إنذارك لهم وتركه، والهمزة هنا (همزة التسوية)، وهي لاتقع إلا بين جملتين، فإذا كانتا فعليتين صحَّ حلول المصدر محلَّ كل منهما.

ولكن هل يصح قيام (أو) محل (أم) في هذا الموضوع؟

بعضهم قال: إن الفصاحة تقتضي العطف بـ(أم) كلما سبقتها همزة الاستفهام، وتسمى (أَمَ المعادلة)، وبعضهم الآخر ـ مثل مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ أقرَّ بذلك لكنه لم يخطِّئ العطفَ بـ(أو) في هذه الحالة، فالفصيح لايقابله الخطأُ بالضرورة، ولأننا وَفقَ المنهج الذي نتبعه في هذا الباب (يصح الوجهان) ـ والذي لاندعي به شرف البحث، بل إعداد مادته من مصادرها المنوه بها فحسب ـ نتبنى أربع درجات من (الصواب اللغوي)، وهي بحسب

علوِّها في الدرجة: (الفصيحة، ثم الصحيحة، ثم المقبولة، ثم الفصيحة المهملة)، أما إذا لم نجد لها تصنيفًا في إحدى هذه الدرجات، فنستبعدها من خانة الصواب، إلى خانة الأخطاء اللغوية الشائعة، وهي خارجة عن نطاق بحثنا في هذا الباب تحديدًا.

هذا رأيُ اللغويين في حال ظهور (همزة التسوية). لكن ماذا عن عدم ظهورها.. أي بتقدير وجودها؟(*)

يتفق اللغويون هنا على كلمة سواء بينهم؛ إذ يجيزون بعد (سواء) التي يتبعها فعلان بغير همزة تسوية، عطفَ ثانيهما بـ(أو) مثل (سواءٌ عليَّ قُمتَ أو قعدتَ)، لأنه على تقدير الشرط، وتأويله: (إن فعلتَ هذا أو ذاك فالأمران سواءٌ)، ويجوز العطف بـ(أم) أيضًا كقولك: (سواءٌ عليّ قمت أم قعدت).

أما إذا جاء بعد (سواء) مصدران، فيُعطَفُ الثاني بـ(الواو) أو بـ(أو) نحو (سواءٌ عليَّ قيامك وقعودك/ سواءٌ عليَّ قيامك أو قعودك)، وفي التنزيل: (سواءً محياهم ومماتهم)/ الجاثية: ٢١. وسبب كون العطف بالواو أن التسوية قامت بين شيئين، فهي للعطف والتشريك على الأصل.

ومجمعُ اللغة العربية في القاهرة الذي يميل إلى التيسير، أصدر قرارًا شموليًّا وفقًا لما قرره جمهرة النحاة، نصَّ فيه على صحة استعمال (أم) و(أو) بعد (سواء) بغير قيد، مع وجود (همزة التسوية) وبغير وجودها.

ومن ثم يتضح أنه (يصح الوجوه)! في قولنا :

سأبكي حسينًا سواءٌ أطالَ الدهر أم قَصُرَ(فصيح).

سأبكي حسينًا سواءٌ أطالَ الدهر أو قَصُر(صحيح).

سأبكي حسينًا سواءٌ طالَ الدهر أم قَصُر(صحيح).

سأبكي حسينًا سواءٌ طالَ الدهر أو قَصُر(صحيح).

* * * * *

## أصحاب الحسين عليه السلام رجال بواسل :

تقول (بَسَلَ) كنَصَرَ، إذا شجُعَ وعبَسَ، فهو(باسل)، وكذلك بسُلَ ككرُمَ، فهو بَسْل كفَخْم، وبسيل ككريم. وجاء في جمع الباسل (بُسَّل) ككامل وكُمَّل. كما جاء (بُسلاء) كعُلماء. ويُجمع تصحيحًا فيقال (باسلون)، لكن بعضهم يجمعونه على (بواسل)، ويرفض غيرهم ذلك لجمع (فاعل) للمذكر العاقل على (فواعل)، لأنه مخالف للقاعدة، فالمشهور عند النحاة أن (فاعل) يجمع قياسًا على (فواعل) إذا كان اسمًا، أو وصفًا لمؤنث عاقل، أو وصفًا لمذكر غير عاقل، أما إذا كان وصفًا لمذكر عاقل فلا يجمع على (فواعل)، وما جمع منه على (فواعل) من صفات الرجال فشاذ لا يقاس عليه.

ورغم إجازة مجمع اللغة العربية المصري لجمع (فاعل) ـ وصفًا لمذكر عاقل ـ على (فواعل)، إلا أن ثمة من تحفظ على الأخذ بها على إطلاقها، وإلا لجاز القول ( نحن حوافظ للعهد، سوائل عنه، عوازم على الوفاء به) بدلًا من: ( نحن حافظون للعهد، سائلون عنه، عازمون على الوفاء به).

أما جمع (باسل) على (بواسل) فله حكم خاص، ذلك أن (الباسل) في الأصل صفة للأسد، بل اسم له. و قد جاء في بيت لأبي زيد الطائي :

**صادفتُ لما خرجتُ منطلقًا**
**جهمَ المُحَيّا (كباسلٍ) شرس**

(أي كأسد شرس).

وقال الشاعر (عمران السدوسي):

**أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ**
**ربداءُ تجفلُ من صفير الصافرِ**

وجاء في (نهج البلاغة) لسيد البلغاء عليه السلام: (لا تكوننَّ عليهم سَبُعًا ضاريًا).

فالعرب وخلافًا لقاعدة الوصف بالاسم المشتق، أجازوا الوصف بالاسم الجامد المؤوَّل بمشتق في تسع صور، منها مادلَّ على تشبيه مثل: قابلت رجلًا أسدًا أي شجاعًا كالأسد.

فقولنا: (رجال بواسل) هو بتقدير قولنا: (رجال أسود).

وقد ورد الجمع (بواسل) في أمثلة كثيرة من فصيح الكلام، كما في ديوان الحماسة في شعر للفرزدق وغيره، وهذا الجمع يرِد في المعاجم الحديثة كالوسيط والأساسي والمنجد.

ولذا يصح الوجهان في قولنا:

أصحاب الحسين عليه السلام رجال بواسل.

أصحاب الحسين عليه السلام رجال باسلون.

وكلاهما من الفصيح.

* * * * *

## اشتهر يزيد بشرب الخمر :

يوافق المؤرخون على أن يزيد (لعنه الله) قد (اشتُهر) بشرب الخمر ونكاح المحارم وتربية الكلاب والقرود، وأنَّ شهرته معلومة للجميع لجهره بالفسق والفجور. لكنَّ اللغويين، أو بعضهم ـ بالأحرى ـ يعترض (لأسباب لغوية صرفة) على استعمال (اشتُهِرَ) بالمبني للمجهول بدلًا من المبني للمعلوم، (أي بضم التاء وكسر الهاء).

لقد جاء (اشتَهَرَ) مطاوعًا لـ(شهره)، فهو فِعلٌ لازم، كقول صاحب (المصباح): (وشهرتُ الحديث..فاشتَهَر) (بفتح التاء والهاء)، على أنه يأتي متعديًا إذ

جاء أيضًا : (اشتهرتُه) بمعنى (شهرته)، ففي (المخصَّص) لابن سيده و(اللسان والقاموس): (وشهرته واشتهرته).

والثابت في المعاجم القديمة والحديثة أنَّ الفعل (اشْتَهَرَ) يأتي لازمًا ومتعديًا. وفي الوسيط والأساسي (اشْتَهَرَ بكذا واشْتُهِرَ بكذا).

ومن ثَمَّ يتضح أنَّ كلا الاستعمالين صواب.

اشتُهِر يزيد بشرب الخمر (بضم التاء وكسر والهاء).

اشتَهَر يزيد بشرب الخمر (بفتح التاء والهاء).

وهما من الفصيح.

* * * * *

## عطاءات النهضة الحسينية معين لا ينضب:

يرفض بعضُ اللغويين جمع المصدر، لأن الأصل فيه ألا يُثَنَّى ولا يُجمع. وقد منع بعضهم تثنيته وجمعه مطلقًا، لكن غيرهم أجازوا ذلك إذا أريد بالمصدر العدد أو كان آخره تاء المَرَّة، مثل: (رَمْيَة: رَمْيَتان ورميات)، و(تسبيحة: تسبيحتان وتسبيحات)، وكذلك إذا تعددت الأنواع، مثل: (تصريح: تصريحان وتصريحات)، وذلك اعتمادًا على ما جاء في الاستعمال القرآني في قوله تعالى: ﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾. الأحزاب/١٠، حيث جاءت (الظنون) وهي جمع (الظن)، وهو مصدر. وقد أجاز مجمع اللغة المصري إلحاق (تاء الوحدة) بالمصادر الثلاثية والمزيدة، ثم جمْعَها جمع مؤنث سالمًا، كما أجاز تثنية المصدر وجمعه جمع تكسير أو جمع مؤنث سالمًا عندما تختلف أنواعه؛ ومن ثَمَّ يمكن تصويب الاستعمال المرفوض، وقد أورده (الأساسي).

لذا يصح الوجهان في قولنا:

عطاءاتُ النهضة الحسينية معين لا ينضب.

عطاءُ النهضة الحسينية معين لا ينضب.

وكلاهما من الفصيح.

* * * * *

## بطلة كربلاء يا لها من إنسانة!

يرفض بعض علماء اللغة تأنيث كلمة (إنسان) لكون الصيغة اسم جنس، وهو يطلق على الذكر والأنثى ولا تلحقه التاء.

المشهور لدى اللغويين القدماء أن كلمة (إنسان) اسم جنس، يطلق على الذكر والأنثى، والواحد والجمع، وهو اسم جامد لايؤنث تأنيث الصفات المشتقة، ولكن جاء في قول شاعر: (مئبرة العرقوب إشفى المِرفق)، و(المئبرة) الشوكة، و(العرقوب) عصب غليظ فوق العَقِب، و(الإشفى) المخرز، وقد وضع موضع صفة مشتقة هي (الحادّ)، أي (شوكة العصب حادة المرفق). وقد أجاز ابن جني في (الخصائص) تأنيث (إشفى)، فقال: (يقال إشفاة المرفق كما تقول حادّة المرفق)، إذا أريد المبالغة في الوصف.

ويمكن تصويب الاستعمال المرفوض استنادًا إلى ما ذكره (تاج العروس) من أن هذا الاستعمال (صحيح) سُمع عن العرب، وإن كان قليلًا، معتمدًا في ذلك على أقوال النحاة، ومستشهدًا ببعض الشعر القديم، كقول أبي منصور الثعالبي: (إنسانةٌ فتَّانة بدرُ الدجى منها

خَجِلْ). و قول الشاعر كاهن الثقفي : (إنسانةُ الحيِّ أم ندمانة السُّمُر). وروي عن ابن سكرة من شعراء (يتيمة الدهر) : (في وجه إنسانة كُلِفتُ بها)، وروي نحو ذلك عن المتنبي.

لذا يصح الوجهان في قولنا :

**بطلة كربلاء يالها من إنسانة!**

**بطلة كربلاء يالها من إنسانٌ!**

**وكلا الاستعمالين من الفصيح.**

* * * * *

## استبصر الحر الرياحي فانخرط في جيش الحسين عليه السلام :

ذهب بعض النقاد إلى تخطئة هذا الاستخدام (انخرط) لأنه لم يرد – برأيهم بهذا المعنى في المعاجم (أي انتظم ودخل والتحق)، لكن جاء (الانخراط) بمعنى المضي في الأمر والدخول في سياقه .

ذكر صاحب (التاج) أنه قد جاء الانخراط بمعنى الانتظام والدخول، وقد وقع في كلام الفصحاء كالسكاكي والزمخشري وأضرابهما. قال أبو حيان التوحيدي في كتابه (أخلاق الوزيرين): (بعد اختلاطي بملكه وانخراطي في سلكه). وقال المرزوقي في (شرح الحماسة): (فهو ينخرط في كل سلك، ويدخل في كل شأن وأمر).

وقال الحريري قي مقامته الرازية: (وانخرطت في سلك الجماعة) بمعنى دخلت وانتظمت. وقال أبو البقاء الكفوي في مقدمة كلياته: (ولما وفقني الله الجميل، لهذ المطلب الجليل، أردت أن أنخرط في سلكهم، وأعقد معهم الخناصر)، وورد اللفظ في بعض المعاجم الحديثة كالأساسي وتكملة المعاجم. فثبت أنه جاء على ألسنة الفصحاء و أنه صحيح مستقيم .

لذا يصح الوجهان في قولنا:

**استبصر الحر الرياحي فانخرط في جيش الحسين عليه السلام.**

**استبصر الحر الرياحي فانتظم في جيش الحسين عليه السلام.**

وكلاهما من الفصيح.

* * * * *

## هب أني شربت الماء فهل أنسى عطش الحسين عليه السلام:

(هَبْ) فعل أمر من (وهب) ومعناه (احسب) أو (اعدد)، ولم يسمع عن العرب منه فعل ماض أو مستقبل، فهو غير متصرف. والمشهور في استعماله قولهم: (هب زيدًا ناجحًا) بتعدية الفعل إلى مفعولين ظاهرين، أو (هبني ناجحًا) بجعل الضمير مفعولًا أول، أو (هبني نجحت).

واختلفت آراء اللغويين حول وقوع (أَنْ) ومعموليها بعد (هَبْ)، فخَطّأ ذلك بعضهم، وذكر بعضهم أنه قليل، وصوَّب بعض ثالث هذا الاستعمال، معتمدًا في تصويبه له على ثلاثة أدلة.

أولها: ما نقله الشهاب الخفاجي عن ابن بري من أنه غير ممتنع إذا جعل (هَبْ) بمعنى احسب.

ثانيها: باعتبار (هَبْ) من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، ومعروف أن هذه الأفعال تَسُدّ فيها (أن) ومعمولاها مسدّ المفعولين.

ثالثها: اعتمادًا على ما جاء في المغني من وروده في إحدى مسائل الإرث وهي

(المسألة الحمارية)، ومجملها أن امرأة ماتت عن زوج ووالدتها وأخوين لأمها دون أبيها، وأخوين لأمها وأبيها (شقيقين) على عهد الخليفة عمر الذي رفعت له هذه القضية مرتين، قضى في الأولى بإعطاء زوجها فرضه وهو النصف، وإعطاء أمها فرضها وهو السدس، وإعطاء أخويها لأمها خاصة الثلث، لكل منهما السدس، فتم المال، وأسقط أخويها الشقيقين. وفي المرة الثانية أراد أن يحكم بذلك أيضًا فقال أحد الشقيقين: هب أن أبانا كان حمارًا، فأشركنا في قرابة أمنا، فأشرك بينهم بتوزيع الثلث على الإخوة الأربعة بالسواء، فقال له رجل: إنك لم تشركهما عام كذا فقال عمر: تلك على ما قضينا يومئذ، وهذه على ماقضينا الآن!. فسميت هذه بـ(الفريضة الحمارية)، لا بلحاظ القضاء المتباين في موضوعين متطابقين، بل بلحاظ قول أحد الإخوة (هَبْ أن أبانا كان حمارًا). وقد ذكرت المعاجم هذا الشاهد، كما في اللسان(شرك)، لكن اكتفت غالبيتها بذكر الوجه المشهور، ولم تعرض للوجه المقيس. لذلك يصح الوجهان في قولنا:

**هَبْ أني شربت الماء فهل أنسى عطش الحسين عليه السلام؟**

**هبني شربت الماء فهل أنسى عطش الحسين عليه السلام؟**

وكلاهما من الفصيح.

* * * * *

(*) خطّأ ابن هشام في مغني اللبيب عدم ظهور الهمزة بعد كلمة (سواء)، وقد خالفه في الرأي سيبويه والسيرافي وابن الدماميني في شرحه على مغني اللبيب الذي قال فيه: (كأن ابن هشام توّهم أن الهمزة لازمة بعد كلمة سواء في أول جملتيها وليس كذلك). هذا ما نقله السيوطي في (الهمع).

الهوامش:


(١) النحو والأساليب اللغوية المعاصرة، تأليف د. مزيد نعيم - د. شوقي المعري- د. محسن العبيد، منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٥.

(٢) معجم الصواب اللغوي - دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار عمر - منشورات عالم الكتب - القاهرة ٢٠٠٨.

(٣) معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٣.

(٤) معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني - مكتبة لبنان - بيروت ٢٠٠٩.

(٥) معجم تصحيح لغة الإعلام، د. وليد النجار- مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٧..

(٦) معجم أخطاء الكتّاب، صلاح الدين زعبلاوي- دار الثقافة والتراث - دمشق ٢٠٠٦.

(٧) أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، عالم الكتب – القاهرة ٢٠٠٦.

(٨) معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، محمد محمد حسن شراب - دار المأمون للتراث دمشق ١٩٩٠.

(٩) قل ولا تقل، د. مصطفى جواد - دار المدى للثقافة والنشر - دمشق ٢٠٠١.

(١٠) ٢٠٠٠ خطأ شائع بين العامة والخاصة، د. فهد خليل زايد - دار النفائس - عمّان - ٢٠٠٦.

(١١) نحو إتقان الكتابة باللغة العربية، أ.د. مكي الحسني - النسخة الإلكترونية.

(١٢) معجم تصحيح لغة الإعلام العربي، أ.د. عبد الهادي بوطالب - النسخة الإلكترونية.

# حدث في مثل هذا الشهر

**أهم أحداث شهر المحرَّم الحرام:**

يعتبر شهر المحرَّم الحرام، بداية السنة الهجرية.

(١) المحرَّم: رأس السنة الهجرية.

(٢) المحرَّم: وصول رَكبُ الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى أرض كربلاء سنة ٦١هـ.

(٣) المحرَّم: وصل عمر بن سعد بن أبي وقاص على رأس جيش الكوفة إلى أرض كربلاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

(٣) المحرَّم: وفاة السيد محمد بن الحسين (الشريف الرضي) جامع خُطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه المعروف المُسمّى بـ(نهج البلاغة) عام ٤٠٦هـ.

(٩) المحرَّم: حُوصر الإمام الحسين مع أهل بيته عليهم السلام وأصحابه في أرض كربلاء عام ٦١هـ.

(١٠) المحرَّم: استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وريحانته وسيد شباب أهل الجنّة في معركة الطف المروّعة غير المتكافئة، التي آلت إلى استشهاده وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، على يد المجرمين العتاة من بني أمية (عليهم لعائن الله)، و ذلك في عام ٦١هـ.

(١١) المحرَّم: سار جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص بسبايا أهل بيت النبوة عليهم السلام و هم أُسارى مُرَبَّطين بالحبال من كربلاء إلى الكوفة.

(١٥) المحرَّم: فتح قلعة خيبر اليهودية على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٤هـ.

(١٥) المحرَّم: ولادة السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر عليه السلام (ابن طاووس) عام ٥٨٩هـ.

(١٧) المحرَّم: ولادة الشيخ البهائي بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي في مدينة بعلبك (لبنان) عام ٩٥٣ هـ.

(١٧) المحرَّم: نزول العذاب على جيش أبرهة (أصحاب الفيل) حينما أرادوا هدم الكعبة المشرفة فجعلهم الله (كعصف مأكول)، وذلك في العام الذي ولد فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عام ٥٣ قبل الهجرة.

(١٨) المحرَّم: تحوّل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة سنة ٢هـ.

(٢٢) المحرَّم: وفاة الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة والشهير بالشيخ الطوسي عام ٤٦٠هـ.

(٢٥) المحرَّم: استشهاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ودفن في البقيع بالمدينة المنورة عام ٩٥هـ.

(٢٥) المحرَّم: مقتل الخليفة العباسي الأمين في بغداد على يد أخيه المأمون عام ١٩٨هـ.

(٢٦)المحرَّم: توفّي علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى عليهم السلام في سجن المنصور العباسي عام ١٤٦هـ.

(٢٨) المحرَّم: سقوط الدولة العباسية على يد الجيش المغولي بقيادة هولاكو الذي دخل بغداد بعد محاصرتها فترة قصيرة، فأسر آخر خلفاء الدولة العباسية، (المستعصم بالله) ثم قتله مع أولاده، وبذلك انتهى الحكم العباسي عام ٦٥٦هـ.

* * * * * * *

**أهم أحداث شهر صفر الخير:**

(١) صفر: بداية حرب صفين عام ٣٦ هـ.
(١) صفر: دخول قافلة عيال الحسين عليه السلام سبايا إلى الشام عام ٦١هـ.
(٢) صفر: شهادة زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.
(٣) صفر: ولادة الإمام الباقر عليه السلام عام ٥٧هـ (على رواية).
(٤) صفر: صلب زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.
(٧) صفر: استشهاد الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام سنة ٥٠هـ.
(٧) صفر: ولادة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في الأبواء عام ١٢٨هـ.
(٨) صفر: وفاة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه في المدائن عام ٣٥هـ.
(٨) صفر: وفاة المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره عام ١٤١٣هـ.
(٩) صفر: استشهاد الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه في معركة صفين عام ٣٧هـ.
(٩) صفر: حرب النهروان بين أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج عام ٣٨هـ.
(١٣) صفر: اختيار التحكيم في صفين عام ٣٧هـ.
(١٤) صفر: استشهاد محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وحرق جثمانه بأمر عمرو بن العاص عام ٣٨هـ.
(١٦) صفر: سقي السم للإمام الرضا عليه السلام على يد المأمون العباسي عام ٢٠٣هـ.
(١٧) صفر: استشهاد الإمام الرضا عليه السلام عام ٢٠٣ هـ.
(١٩) صفر: وصول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وأصحابه إلى كربلاء عام ٦١هـ.
(٢٠) صفر: أربعين الإمام الحسين عليه السلام وإرجاع الرأس الشريف إلى الجسد الطاهر عام ٦١هـ.
(٢٤) صفر: اشتداد مرض النبي صلى الله عليه وآله عام ١١هـ.
(٢٥) صفر: طلب النبي صلى الله عليه وآله دواة وكتفًا ليكتب لهم كتابًا لن يظلوا بعده أبدًا وامتناع القوم من ذلك عام ١١هـ.
(٢٦) صفر: أمر النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد عام ١١هـ.
(٢٦) صفر: طلب النبي صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام إحضار دواة وكتف لكتابة أسماء الأوصياء من بعده أولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم بقية الله الأعظم عليه السلام عام ١١هـ.
(٢٦) صفر: وفاة المرجع الكبير السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في ظروف غامضة عام ١٤١٤هـ.
(٢٨) صفر: عروج روح النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى عام ١١هـ.
(٢٨) صفر: دفن النبي صلى الله عليه وآله في منتصف الليل عام ١١هـ.

# قصيدة السيد صادق الفحام في أبي عبد الله الحسين عليه السلام..

## نص وتحليل

د. حسن الخاقاني •

عين جودي على الغريب القتيلِ ... وأطيلي البكا على ابن الرسولِ
واستمدي دم الفؤاد إذا ما ... نفد الدمع للمصاب الجليل
لمصاب بكت له الجن والإنـ ... ـس بدمع قد سال كل مسيل
لمصاب أبكى السماوات حزناً ... بدم هاطل ودمع هموله
لمصاب أبكى الرسول وأذكى ... حُرَق الحزن في فؤاد البتول
أمصاب الحسين نجل علي ... وسليل الزهراء خير سليل
لست أنسى مولاي إذ وقف المهر ... بأرض الطفوف دون الخيول
فابتدا قائلاً ألا ما اسم ذي الأر ... ض التي قد كرهت فيها نزولي
قيل ذي كربلا فقال لهم: حطـ ... ـوا رحالي قد حان وقت رحيلي
إن في هذه البقاع ابتلائي ... وامتحاني ومثلتي ومثولي
وبها يصبح العزيز من الأطـ ... ـهار في قبضة الحقير الذليل
وبها تسفك الدماء من الآ ... ل ببيض الظبى وزرق النصول
لهف نفسي غداة دارت رحى الـ ... بين على صحبه بخطب مهول
وبقى مفرداً ينادي: ألا هل ... ناصر مسعد لآل الرسول؟
حُرَّ قلبي له يصول على القو ... م وفي القلب منه حَرٌّ الغليل
حُرّ قلبي له وقد خرّ للأر ... ض صريعاً يجود فوق الرّمول

ومضى المهر عارياً وهو ينعا ـه ويبكي بمدمع مطلول
فبرزن النساء منزعجات يتعثرن دهشة بالذيول
لهف قلبي على سكينة تدعو: عمّتا أين واحدي وكفيلي؟
عمّتا من ترين يحمي حريم الـ مصطفى بعد مصرع المقتول
عمّتا من ترين يرحم أيتاما يراهم فرط الضنى والنحول؟
أين جدي يرى الحسين قتيلاً والسبايا في ذلة وخمول؟
أين أمي الزهراء حتى ترى رأس ابنها فوق رأس رمح طويل؟
أين جدي الكرار حتى يرى السـ جاد في كربة وقيد ثقيل
يشتكي الأسر وهو ظام عليل حُرَّ قلبي على الأمير العليل
عمّتا قرّبوا المطيّ فقومي ودِّعيه من قبل وقت الرحيل
يا لها من مصيبة عمّت الخلق ورزء على الأنام جليل
أيُبرّى كريم سبط رسول اللـ ـه عند جسمه بسيف صقيل
ويعلّى على السنان كبدر طالع فوق ذابل محمول
ويزيد يبيت في طيب عيش تحت ظل من النعيم ظليل
وحسين يبيت ذا جسد ملقى على الترب بالدماء غسيل
هشمت صدره الخيول فلهفي لقتل العدا هشيم الخيول
وثناياه نكّتت بقضيب لنكات من وترهم وذحول
وهي كانت محل رشف رسو ل الله حباً وموضع التقبيل
وتصان النساء من آل حرب في قصور بساتر مسدول
وبنات النبي يُشهرن فوق الـ بدن ما بين أعبُدٍ وتغول
مزعجات تحدي بهن المطايا في حزون من الفلا وسهول
متعبات في السير شعثا عراهـ ـن دؤوب من رحلة ونزول
يا بني أحمد مصابكم أضـ نى فؤادي وهاج حر غليلي
نجلكم صادق بكم مستجير في غد من عذاب يوم مهول
صلوات الإله تترى عليكم في مساء وبكرةٍ وأصيل

## الشاعر:

هو أبو النجاة السيد صادق الحسيني الأعرجي الحلي النجفي المعروف بالفحام بن علي بن الحسين بن هاشم بن شرف الدين بن نصر الله بن محسن الكبير بن ناصر بن منصور بن عماد الدين موسى بن علي بن محمد بن عمار بن المفضل بن محمد الصالح بن أبي عباس أحمد بن أبي الحسين محمد الأشتر بن عبيد الله الثالث بن أبي الحسن المحدّب بن عبيد الله الثاني بن علي الصالح بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام السجاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولد الشاعر في سنة ١١٢٤هـ في (قرية الحصين) الواقعة جنوب مدينة الحلة، واسمها القديم (حصن ساحة) وقد قال فيها شاعر:

**ولي جسد في حصن ساحة موثق**
**وقلب بأكناف الغري رهين**

لكنه حباً في العلم، حلّ في مدينة النجف الأشرف لينهل من معينها، فدرس الفقه والأصول وعلم الكلام على أيدي أساتذة كبار منهم الشيخ خضر الجناجي والد الشيخ جعفر صاحب كتاب: (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) الذي اشتهرت به الأسرة فيما بعد على أن الشيخ جعفر نفسه هو أحد تلامذة السيد صادق الفحام.

وقد جد السيد في تحصيل العلوم والمعارف حتى بلغ درجة الاجتهاد، وبرز له تلامذة أعلام منهم الشيخ جعفر المذكور والشيخ محمد رضا النحوي الشاعر المعروف وغيرهم.

توفي السيد (رحمه الله) في النجف الأشرف سنة (١٢٠٥هـ) وقد رثاه جمع من الشعراء وأرخ بعضهم وفاته وقد ترك جملة من الآثار في مجال الفقه واللغة وما يتصل بها.

## مكانته الأدبية:

كانت للسيد صادق الفحام منزلة أدبية رفيعة في عصره، وقد شارك في مختلف أغراض الشعر إذ كان النظم طبعاً لديه، ولذلك نجد في ديوانه الذي حققه مؤخراً السيد مضر سليمان الحلي تنويعاً بين المديح والرثاء والإخوانيات والتهاني والتاريخ الشعري، وهي الأغراض التي كانت سائدة في ذلك الزمان.

ومما يدل على رفعة هذه المكانة مشاركته في (معركة الخميس) الأدبية المشهورة، التي هي عبارة عن ندوة أدبية كان يرعاها ويزيد في شدة أوارها السيد مهدي بحر العلوم، وقد شارك فيها أعلام ذلك العصر وكبار شعرائه، وهي تقوم على مبدأ المساجلة الشعرية، ولذلك كانت عاملاً مهمًّا في نهضة الشعر العراقي الحديث بعد أن خبا بريق هذا الشعر في الحقب السابقة.

ومن المساجلات اللطيفة التي يمكن أن تذكر في هذا المجال ما جرى بين السيد صادق الفحام والشيخ محمد رضا النحوي، فقد افتخر السيد بشعره ليفوق به المتنبي فيقول:

**وإني نبي الشعر كم لي معجز**

**تجلت به للمبصريـن الحقائق**
**فدع عنك قول ابن الحسين بمعزل**
**وإن هـدرت فيهن منه الشـقائق**
**فكم بين من يأتي به الناس كاذب**
**وكم بين من يأتي به الناس صادق**

وقد كانت للسـيد الفحـام فضلاً عن ذلك مسـاجلات مع غيره مـن الأعلام، منهـا مع الشـيخ كاظـم الأزري صاحب الأزريـة، وكانت له مشـاركات أيضاً في مجال التخميس والتشطير كما فعل بعض الشعراء ذلك بشعره أيضاً.

## التحليل:

يبدو واضحاً دخول الشـاعر المباشر إلى موضوعه، مفارقاً بذلك أنماط البناء الفنـي التقليدي الـذي يقسـم القصيدة العربية علـى لوحات متعـددة تبدأ بذكر الديـار، أو الوقوف على الأطلال والبكاء عليهـا تمهيـداً للانتقـال إلـى الغـرض الرئيسي، وتبدو عاطفة الشاعر المملوءة بالحـزن العميق قـد هيمنت على نسـق الأداء ومقوماتـه الفنيـة، ولذلك لم تدع للشـاعر فرصـة التأمل الطويـل، ليكون هـذا المدخـل الحزيـن بانتـداب العين لسـكب الدمع على معرَّف بالألف واللام مع صفتين هما الغربة والقتل، ويسـتمر خطاب العيـن وانتدابها على مدى البيتين الأوليـن، وهو خطاب متجه من الشـاعر إلـى نفسـه، إذ الحزن الفاجـع هو حزن هذه النفس بعد استشعارها لهذا المصاب الجلـل الـذي أصاب الإمام الحسـين عليه السلام وأهله وصحبه في كربلاء.

إنَّ هذا المدخل المباشـر إلى الغرض في القصيدة لا يمنـع النظر لها من زاوية فنية أخـرى، فقد بنى الشـاعر قصيدته على مبدأ تعدد الأصوات التي أسندها إلى شخصيات تبدو مسـتقلة داخل القصيدة عـن الشـاعر الـذي يأخـذ دور المؤلف المسـرحي الموضوعـي برغـم هيمنته العاطفيـة الشـديدة، فيديـر الأحـداث ويقدمها كأنها مشـاهد أو لوحات متتابعة أمام رؤية المشـاهد المفتـرض، ويمكن تقسيم القصيدة إلى ثلاثة أصوات هي:

الأول: صـوت الـراوي الـذي يتولاه الشـاعر بنفسه وإن كان يبدو مستقلاً عنه من الناحية الفنية.

الثاني: صوت الإمام الحسين عليه السلام.

والثالث: صوت سـكينة بنـت الإمام الحسين عليهما السلام.

وقد أسند الشاعر أو المؤلف إن شئنا الدقـة إلى هذه الأصـوات المهمات التي تتفق ودورهـا الفعلي فـي الحدث الذي يعتمـد مرجعيتين في وقـت واحد، هما: مرجعية تاريخية تظهر بتوسـط السرد، ومرجعية عاطفيـة تتجلى بالنمط الحزين المهيمن على النص كله. ولذلك سـيكون وقوفنـا فـي تحليـل القصيـدة عند هذه الأصوات بحسـب دورها في الأداء وعلى النحو الآتي:

١ـ صوت الـراوي: وظهر في الأبيات (١ـ ٧) ومهمته هنا تمهيدية، فهو يستجلب الحزن، ويستدعي جوارح النفس والجسد للمشاركة في هذا الحزن من دون أن يبين العلـة في ذلك حتى يتجاوز البيت الرابع، وهذا التفجـع، مع إخفاء العلة، يثير لدى المتلقـي رغبـة شـديدة في التطلـع إلى معرفـة دواعي ذلك الحـزن، ويعظم في الوقت نفسه من شـأن تلك العلة ويعطيها

قيمة تستحق معها كل ذلك الحزن، فهو يسنده (لمصاب) بصيغة التنكير، ولكن الأوصاف التي تتبعه تزيده تعظيماً من دون أن تكشف عنه تصريحاً. فهو مصاب أبكى الجن والإنس، وأبكى السماوات بقطر كالدم، ثم يتجه به إلى نوع من التخصيص حين يصل إلى البيت الخامس الذي يصرح فيه باسم الرسول صلى الله عليه وآله، ثم يقترب من ذلك أكثر حين يصرح في الشطر الثاني باسم (الزهراء عليها السلام)، وبذلك تصبح الأذهان مهيأة تماماً لاستقبال النبأ العظيم في البيت السادس، وهو مصاب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام الذي يأتي بصيغة الاستفهام، ثم التعجب، ويختم البيت السابع هذا البدء من صوت الراوي الذي كان تمهيدياً لينتقل منه إلى صوت جديد.

٢- صوت الإمام الحسين عليه السلام: في الأبيات (٨-١٢)، إذ يمهد الراوي لصوت الإمام الحسين عليه السلام في البيت السابع بقوله: لست أنسى مولاي... ولكنه يسلمه مقود الكلام في البيت الثامن بدءاً (بألا) الاستفتاحية التي يتبعها سؤال الإمام الحسين عليه السلام عن الأرض التي وقف عليها مع علمه بها ليستثير من هذه الأرض واسمها ما أودعه لديه من أخبارها وما يجري عليها رسول الله صلى الله عليه وآله جدّه وأمير المؤمنين عليه السلام أبوه، ولذلك يأتي الأمر: (حطوا رحالي) مقروناً بالإيذان بالرحيل بمعناه المجازي، وهو الموت ليجرد المعنى الحقيقي للرحيل، أي السفر، من فاعليته بهيمنة معنى الموت عليه، وليكون هذا الرحيل، الموت مقاماً للتفصيل الذي يورده صوت الإمام عليه السلام، وهو تفصيل يتجه بالزمن وجهة جديدة نحو المستقبل عن طريق التنبؤ الذي يورده الإمام عليه السلام، مستنداً فيه إلى ما سبق ذكره من أخبار النبي الكريم صلى الله عليه وآله به.

ويمكن أن نلحظ أن هذا التنبؤ بقدر ما كان موجزاً فقد جاء محملاً بأفعال ضخمة ستجري على الأرض، فيها الابتلاء والامتحان، والتمثيل بالأجساد، وغلبة الحقير الذليل على العزيز، وسفك دماء الحسين وآل بيته عليهم السلام وصحبه بسيوف ظالميهم من بني أمية ومن أعانهم.

٣- صوت الراوي: يعود صوت الراوي مع الأبيات (١٣-١٩) بعودة الضمير إلى الراوي واستعماله طريقة الإخبار عما يجري ليتساند بذلك فعلاً الزمن المستقبل الذي أخبر به الإمام عليه السلام، والماضي الذي يخبر به الراوي بعد حصول الواقعة التي يورد بعض أجزاء مختارة من تفصيلاتها، فالبيت الثالث عشر يخبر بموت أصحاب الإمام الحسين عليه السلام مستشهدين بأيدي عدوهم، والبيت الذي يليه يخبر عن وحدة الإمام عليه السلام وبقائه فريداً بعد غيبة أصحابه وآل بيته عليهم السلام، وهو يورد نداء الإمام: ألا هل من ناصر... على سبيل الإخبار أيضاً، ثم يتعمق فعل هذا الصوت باستعمال ضمير المتكلم: حرّ قلبي، المتبوع بوصف ما جرى من صولة الإمام عليه السلام على عدوه، وغلبة الإجهاد والعطش عليه، ثم سقوطه في أرض المعركة بين أعدائه، وعودة مهر الإمام عليه السلام إلى مخيم النسوة لينتهي هذا الصوت عند بروز النسوة فيختار الراوي من بينهن (سكينة عليها السلام) ليسلمها مقود الأداء في استكمال أجزاء الحدث

وبيان مفاصله.

٤- صوت سكينة عليها السلام: وقد تكفلت به الأبيات (١٩-٢٦) فالشطر الثاني من البيت التاسع عشر يبدأ به صوت سكينة عليها السلام بخطابها الموجه إلى عمّتها زينب عليها السلام بمجموعة من الأسئلة الفاجعة التي لا تقتصر على استثارة أسئلة واقعية تعبر عن الحيرة في موقف الوحدة بين الأعداء بعد مقتل الأهل عليهم السلام والأصحاب، وإنما تعبر عن شدة التفجع واستشعار عظم تلك الوحدة بانتداب الراحلين من الأهل أيضاً، ولاسيما الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

ويكشف هذا الصوت أيضاً بطريق السؤال، ما نتج عن الواقعة، فقد تحولت النسوة إلى أرامل وهن حريم رسول الله صلى الله عليه وآله. وتحول الأطفال إلى أيتام وهم أسباط رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم جميعاً أصبحوا سبايا بإمرة عدو لا يعرف للرحمة طريقاً، أما صفاتهم فقد انقلبت من العز إلى الذل، ومن الأمن إلى الخوف والرعب، ومن الاكتفاء إلى الحاجة، وأما السجاد عليه السلام وهو الإمام بعد أبيه عليه السلام، فقد اجتمعت عليه حبال الأسر والعلة معاً، فضلاً عن فجيعة مقتل الأهل عليهم السلام والأصحاب، وينتهي أداء هذا الصوت عند الإخبار ببدء مسيرة الأسر الطويلة التي تحط رحالها في بلاد الشام.

٥- صوت الراوي: يستكمل الراوي أحداث مسيرة الأسر في الأبيات (٢٧-٣٨) بالإشارة الموجزة الدالة على حمل رأس الحسين عليه السلام على رمح طويل، يقابله في الوقت نفسه تمتع يزيد بنعيم الدنيا الزائل، إذ يوازن الشاعر بين الحالين: حال جسد الحسين عليه السلام المرمل بالدماء ورأسه المفصول عن الجسد ثم المحمول على رمح، وبين حال يزيد الذي يرفل في نعيم زائف ليصل إلى مشهد جرى في قصر يزيد حين يطل وهو يعبث بقضيب له بثنايا رأس الحسين عليه السلام الموضوع أمامه، وهذه إشارة لها تفصيلها التاريخي الذي يستخرج صفة الشاعر دوافع ذلك الفعل المجرم التي ترجع إلى أحقاد قديمة جاهلية وغير جاهلية، ليستمر في مبدأ الموازنة، فهذه الثنايا التي يعبث بها هذا الدنيء المسمى يزيداً كانت محل تقبيل أشرف خلق الله وأرفعهم النبي محمد صلى الله عليه وآله. وأما النساء فهي محل موازنة أيضاً، إذ نساء النبي مبرزات إلى تصفح الأغراب وجوههن ونساء يزيد مصونات في القصور، ولا يكتفي الراوي بهذا فيواصل الوصف ليكشف عن مزيد من حال النسوة الذي يجسد عظم المصيبة التي حلت على آل بيت النبي صلى الله عليه وآله بأيدي آل أمية ومن والاهم.

٦- صوت الشاعر: يظهر صوت الشاعر في الأبيات (٣٩-٤١) منفصلاً عن سائر الأحداث وإن ارتبط مع مضمون النص في نقطة التفجع وإظهار الحزن لعظم المصاب، ويفيد الشاعر من هذا في توجيه الخطاب على آل الرسول صلى الله عليه وآله لطلب الشفاعة، ويصرح باسمه في البيت الأربعين، وهو تصريح يمكن أن يحمل على المعنى الحقيقي طبقاً لاسم الشاعر، وكونه مرتبطاً برابطة الانتماء النسبي إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله، ويمكن أن يحمل على معنى التورية بإرادة معنى الصدق في الدعوة والاستجارة من هول يوم القيامة، وهو

يستعمل الدعاء أيضاً في ختام القصيدة.

**الخصائص الفنية في القصيدة:**

اجتمعت في القصيدة جملة من الخصائص الفنية التي أعطته قوة في التأثير، وتماسكاً في الأداء، جعلت قدرتها على إثارة الاستجابة لدى المتلقي كبيرة، ويمكن أن تجمل هذه الخصائص في النقاط الموجزة الآتية.

١ـ الحيوية والحركة: يبدو واضحاً بأن القصيدة مبنية على أساس الحركة في نسجها النصي، فمجموع مكوناتها تمتلك عنصر الحركة، فمن حيث بناء الجملة نلاحظ غلبة الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، ومن ناحية الزمن نلاحظ تنوعاً في الأزمان به واجتماعاً لها مع السيطرة في التنقل من زمن إلى آخر.

ولعل أبرز ما يتجلى فيه وصف الحركة في القصيدة، كثرة الشخصيات الفاعلة وتعدد الأصوات الصادرة عنها، وهذا ما يقود إلى توكيد صفة الحوارية في النص، إذ يؤدي اجتماع هذه الشخصيات إلى بروز عنصر الحوار الذي أداره الراوي باستعمال مقول القول، أو جعل الشخصية مصدرًا للسرد بدلاً من الراوي نفسه.

٢ـ اعتمدت القصيدة مبدأ التنويع في نمط الخطاب فلم تقتصر على نوع محدد من الأداء من ناحية الجملة، بل اعتمدت التنوع الذي شمل الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، وما انطوى تحت ذلك من استعمال أساليب الاستفهام والتعجب والنداء والدعاء، وهذا ما أعطى النص حيوية في الأداء وتنوعاً في الاستعمال والتوظيف.

٣ـ يبدو كل من الاستفهام والدعاء قد أخذ مجاله في النص لأسباب فنية موضوعية، فحين أسند الراوي مصدر السرد إلى إحدى الشخصيات التي وقفت عليها آثار الفجيعة مباشرة. وهي (سكينة عليها السلام) فقد أوكل لها استعمال أسلوب الاستفهام الذي يدل على التعجب والانشداه مما يجري لهول هذا الذي تشهده، وهذا يعني تفعيل مبدأ المفارقة بين الحدث (الفجيعة) وبين الشخصية الراوية (سكينة عليها السلام) لإعطاء أقصى قوة في التأثير، ولذلك لم يسند مصدر السرد إلى السيدة زينب عليها السلام مثلاً لأن لها قوة التحمل المستندة إلى قوة الوعي والإيمان مع فارق العمر، وهذا استعمال ناجح لأسلوب الاستفهام بإجرائه على لسان الشخصية المناسبة له.

وأما أسلوب الدعاء فيكاد يختص به الراوي لنفسه بتكرار أفعال معينة مثل: حر قلبي، لهف نفسي، وهي تعبيرات تثير مدى المتلقي نظير ما أثارته لدى الشاعر، في حين اختص الشاعر لنفسه بدعاء خاص خارج عن نطاق ما أجراه من دعاء سابق في القصيدة ختم به، يمثل حاجة نفسية تؤذن بالانتهاء مما كان فيه من شأن.

٤ـ التوظيف الناجح للفنون البلاغية: فقد وفق الشاعر في اعتماد بعض الأدوات البلاغية الشائعة في القصيدة العربية عموماً وفي زمن الشاعر خصوصاً، ومنها: الجناس، وقد جرى توظيف هذا الفن لدى الشاعر من غير تكلف في الأداء، ومن غير تعمد في البناء، ومن دون سعي إلى اصطياد مصاديق لهذا الفن وإن أصابت المعنى بالخلل كما هو الشأن

لدى شعراء آخرين يوائمون بين اللفظة وأختها، وكذلك الطباق عنده فقد جرى في المجرى نفسه.

ويلحظ أن الشاعر قد استعمل بنجاح أيضاً أسلوب التكرار على مستوى الكلمة، وعلى مستوى الجملة، وعلى مستوى الفكر أيضاً، ولكن التكرار لم يكن مملاً أو مرهقاً للقصيدة في بنائها، بل أدى وظيفته في تركيز المعنى وفي تدرجه من العموم إلى الخصوص.

٥ـ النواحي الإيقاعية: استعمل الشاعر بحر الخفيف وزناً لقصيدته، ولم يكن هذا الاختيار اعتباطاً فهو يتوافق تماماً مع العناصر الأخرى. فالقصيدة مبنية على أساس كثرة الحركات وسهولتها، ولا يفي بمثل هذا غير بحر الخفيف، ففيه كثرة في الحركات لما في تفعيلتيه: (فاعلاتن، مستفعلن) من قدرة على التنوع والابتعاد عن الأصل، فضلاً عن كثرة توالي الحركات الموجودة فيهما أصلاً لكثرة تحملها الزحافات التي تنوع الإيقاع المنتج فيها.

وفي البحر الخفيف خفة في الحركة أيضاً وامتداد لها إن كانت بها حاجة إلى الامتداد، فنجد المنفذ لذلك مفتوحاً بإمكان استعمال تقنية (التدوير) والتدوير لا يقتصر في مفهومه على عبور الشطر الأول إلى الشطر الثاني، بل يتجاوزه إلى معنى امتداد الشحنة العاطفية، والدفقة الفنية، التي تريد التحرر من قيد الشطر الواحد الذي قد لا يسعها أحياناً، وهذا يعلل ما تراه في القصيدة من كثرة اعتماد مبدأ التدوير بين أغلب أبياتها، ففي القصيدة شخصيات متحركة. وفيها حوارات متصلة وفيها جمل إنشائية، وجمل فعلية متشابكة مع بعضها، لذا يكون البحر الخفيف هو الأصلح من سواه من بحور الشعر العربي في استيعاب كل هذا.

أما القافية فقد جعل الشاعر حرف اللام رويا لها، وهو حرف لين يساعد على امتداد الصوت الذي يقترن بالحزن والتفجع، وأسنده الشاعر فضلاً عما فيه بسندين هما:

الأول: حرف الياء الذي يسبقه وهو حرف تأسيس، والياء حرف علة لين أيضاً يمتد في اللفظ.

والثاني: جعل الروي مكسوراً، وهذا ما أعطاه قدرة في تجسيد انكسار النفس وهي تفرغ كل هذا الحزن مع توالي أبيات القصيدة.

٦ـ اعتماد مبدأ الإيجاز: اعتمدت القصيدة مبدأ الإيجاز عبر الإشارة إلى الأحداث وليس الخوض في تفصيلاتها، وذلك اعتمادًا على معرفة المتلقي بذلك، فلم يعتمد النص أساساً مبدءاً سردياً ليتحرى به مجريات الأحداث ويصف تفصيلاتها من لحظة البدء إلى لحظة الصعود ثم الانتهاء، فليس هذا من شأنه، إنما هو معنى لقضية أخرى هي إظهار الحزن والتفجع لما جرى، ولذلك بدأ النص بانتداب العين لإجراء الدمع حزناً على ما جرى، ثم اكتفت بعد ذلك بالإشارة واللمح اكتفاء بمعرفة المتلقي ومشاركته، وهذا ما يعني توقع سياق متحكم في مجرى القراءة المفهوم لدى طرفي الإنتاج: الشاعر ومتلقيه، ولا شك في نجاح هذا التوقع وصدقه ■

# المنهج التوحيدي
# في النهضة الحسينية المباركة

**إحسان العارضي** •
كاتب وباحث

المطلع على مفهوم الخلافة الربانية ـ أي الموحدة لله تعالى ـ وخصائصها ومواصفات المستخلَف وما يلزمه للقيام بدوره المطلوب منه، لابد له أن يتساءل عن تطبيق المنهج التوحيدي الذي يريده الله سبحانه وتعالى من خليفته الأرضي.

وهنا يتعين علينا بداية أن نستحضر الآية القرآنية الكريمة: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (البقرة/٣٠) فالخليفة يجب أن يكون في أعلى مراتب التوحيد لله في زمانه وهكذا كان الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين كونهم قد بينوا للناس وعلموهم الفرق بين أن يكون الإنسان موحِدًّا أو مشركًا، لأن المنزلق الخطير للبشر والذي يريد الشيطان وأتباعه إيقاع الناس فيه، هو الخلط بين التوحيد والشرك، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن بني أمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوا).

لقد حسب أولئك الظلمة أن من الممكن أن يتخذهم عباد الله من دونه أولياء، وقد غفلوا أو تغافلوا عن الحقيقة الحقة التي تؤكد أن ذلك يعني إلغاء الإيمان بالله سبحانه وتعالى من الأصل.

قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً**﴾.

إن محور المعركة العظمى وموضوعها الرئيس بين الأنبياء وأوليائهم عليهم السلام وبين الشيطان وأوليائه، هو إقامة التوحيد ونفي الشرك بمراتبه كافة من الحياة الإنسانية، لأن بذلك وحده فقط يتحقق السير والوصول إلى الكمال المنشود

ونيل مرضاة الله تعالى .

إن إدراك هذه الحقيقة والنظر من خلالها إلى أي صراع في الساحة الإنسانية على طول الزمن، يمكّن من معرفة المحق من المبطل والتفريق بين أهل الحق وأهل الباطل.

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نورد بعضاً من خطب الإمام الحسين عليه السلام في المواقف المختلفة لنتبين الدور التوحيدي لهذا السبط الشهيد الذي يأبى الزمان أن يجود بنظير له .

١- من خطبة له عليه السلام في الحث على التوحيد الحق والابتعاد عن المزيفين له:

(أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير...) الخ.

وقال عليه السلام أيضًا: (أوصيكم بتقوى الله وأحذركم أيامه وأرفع إليكم أعلامه فكأن المخوف قد افد بمهول وروده ونكير حلوله وبشع مذاقه فاعتلق مهجكم وحال بين العمل وبينكم، فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار كأنكم ببغتات طوارقه فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها ومن علوها إلى سفلها ومن أنسها إلى وحشتها ومن روحها وضوئها إلى ظلمتها ومن سعتها إلى ضيقها حيث لا يزار حميم ولا يعاد سقيم ولا يجاب صريخ...) الخ الموعظة.

٢- ومن خطبة له عليه السلام يبرر سبب خروجه بوجه الطاغية يزيد لإظهار معالم الدين وإصلاح حال الأمة المنكوبة بظلم بني أمية: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن منا تنافسًا في سلطان ولا التماساً من فضول

الحطام، ولكن لنري المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك...).

ثم وجه خطابه إلى الناس الذين طلبوا منه أن يخلصهم من ظلم يزيد وعماله فقال عليه السلام: (فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير).

٣- ومن أهم صفات المؤمن الموحد لله سبحانه وتعالى رفض الظلم وعدم قبوله تحت أي مسوغ، وأن يكون عزيزًا لا تأخذه بالله لومة لائم ولا يهاب الظالمين أبدًا ويفضل الاستشهاد عزيزا على البقاء ذليلًا خانعًا مستسلمًا لإرادة الظالم.

وقد عبر عن ذلك كله الإمام الحسين عليه السلام بقوله: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد...الخ، وقال أيضًا في هذه الخطبة: (ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين القلة (وفي بعض المصادر القتلة، السلة) والذلة وهيهات ما آخذ الدنية أبى الله ذلك ورسوله وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرت وأنذرت، ألاإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العتاد وخذلة الأصحاب).

٤- ومن صفات الثائر الموحد لله تعالى هو أن يقاوم الانحراف ويظهر الإصلاح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لكي يقام العدل ويشاع الإحسان والرحمة بين الناس، وبذلك تستقيم المسيرة الإنسانية في سيرها إلى الله تبارك وتعالى، وتحصل على كمالها المنشود.

قال الإمام الحسين عليه السلام: (إني لم أخرج أشرًا ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

٥- ومن رسالة منه عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية يؤكد فيها على معاني الشهادة في سبيل الإسلام وأن هذه الشهادة هي أعظم فتوحات الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث بلغ الانحراف أوجه في زمن معاوية وابنه الفاسق الظالم يزيد عليهما اللعنة، فقال عليه السلام: (من الحسين بن علي إلىأخيه محمد ومن قبله من بني هاشم: أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام).

وهذا غيض من فيض، نكتفي منه بهذا المقدار لأن المجال لا يسع للإطناب.

## شروط النهضة الربانية:

١- إنها لا تتبع من مصلحة شخصية ولا من منظور شخصي وإنما يجب أن تنطلق من المصلحة العليا للدين ولا تكون المصلحة الذاتية هي دافعها الأول والأخير، بل هي خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى.

٢- إنها تستند إلى رؤية واضحة مرتكزة على أصول الدين وفروعه وتستمد طاقتها وحركتها من الدين نفسه

وممثليه الأصليين لا المدعين.

٣- إنها تمثل صرخة حق مدوية بوجه الباطل وان تمرد وتجبر .

٤- إنها تمثل ضوءًا ساطعًا وسط الظلام والجهل، وتقوم بكشف حقيقة المزيفين والطغاة وأدعياء الدين وفضحهم وإظهار حقيقتهم المزرية التي يحاولون سترها بلباس القدسية والتدين المزيف.

٥- يكون قائدها هو أكثر رجالها توحيداً لله تبارك وتعالى في زمانه.

٦- حدوثها في زمن خاص واستثنائي بحيث إذا لم تقم خسرت الأمة والإنسانية جميعاً أعظم فرص الوعي والتحرر من الطغيان والظلم.

٧- أن يكون هدفها إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض ودحض كلمة الشيطان وأتباعه .

٨- حيازتها على الدرجة المطلوبة من الرشد والحكمة .

٩- إنها تضع الإنسان المناسب في موقعه المناسب وكما يستحقه ضمن حركتها الغائية الرشيدة بحيث يكون دوره لا غنى عنه في أي حال من الأحوال.

١٠- تستطيع أن تكُوّن توافقاً وانسجامًا بين حاجات الفرد والمجتمع، وتوازن بين الفطرة الإنسانية وحب طلب الكمال الذي تستطيع تشخيصه بشكل حقيقي لأتباعها وللآخرين أيضًا.

ومن خلال ما تقدم يمكن لنا القول بشكل قاطع إن النهضة الحسينية المباركة قد حازت شروط ومقومات الخلافة الربانية المطلوبة للإنسان من خلال مراجعة سيرة وحياة الإمام السبط الشهيد عليه السلام في كل أدوار حياته وبذلك جسد مفهوم هذه الخلافة بشكل تام، بينما أجمعت كلمة الأمة الإسلامية – إلا ما ندر من شذاذها – على فسق وجور الخلافة الأموية وظلمها وابتعادها عن المراد الإلهي من جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفته في الأرض، لاسيما خلافة الطاغية يزيد ومن شايعه وشيد أركان سلطانه ووقف معه، وبذلك فقدت الأمة الإسلامية مرة أخرى فرصة نادرة للتقدم الحقيقي والوصول إلى الكمال المطلوب لها ربانيًا.

## أثر التوحيد الأفعالي في السلوك الإنساني:

إن أثر الإيمان بالتوحيد الأفعالى في النفس الإنسانية له نتائج عظيمة على الحياة الإنسانية وقد يكون هذا التأثير مباشرًا كما هو واضح في حركة الأنبياء عليهم السلام لاسيما أولو العزم منهم وخاتمهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أو يكون التأثير غير مباشر، أي بعد حين من الزمن كما كان دور أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين قاموا بنشر معارف الدين الإلهي بين الناس وإحياء سننه بعدما حاول الطغاة تضييعه ومحقه من الواقع الإنساني، فلولا جهود وتضحيات هؤلاء الربانيين لما بقي للإسلام رسم أو أثر منذ زمن بعيد، وكما جاء بالقول المشهور الذي يمثل واقع حال الإمام الشهيد عليه السلام (إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني)، فالمقصود بالتوحيد الأفعالي هو الإيمان الراسخ بأنه لا مؤثر في الوجود سوى الله تعالى.

وبعبارة أخرى الإيمان النظري الراسخ عن قبول وقناعة تامة بأن ما من فعل

في هذا الوجود طبيعي أو اختياري علة كان أو معلولًا يصدر عن أي موجود مجرداً كان أو مادياً، شاعرًا به فاعله أم لا، إلا هو بإرادة الله سبحانه وتعالى حدوثاً وبقاءً.

ولو أخذنا قضية الشرك بأنواعه المختلفة في الحياة الإنسانية العملية على سبيل المثال لوجدناه يرتبط بشكل وثيق بالتوحيد الأفعالي كون الفهم الإنساني غير الصحيح له ولمراتبه المختلفة يوقع الإنسان في مطبات نظرية وعملية تبعده عن الإيمان التوحيدي الحق، وبالتالي يقع في الشرك وما يترتب عليه من آثار جسيمة على الإنسان والإنسانية معاً.

ولنأخذ مثالا من القرآن عن سحرة فرعون ونقارن وضعهم وأحوالهم بوضع وأحوال الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأنصاره.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

من الآيات الشريفة السالفة نستطيع أن نجري موازنة موجزة لبيان أثر التوحيد الأفعالي بين سحرة فرعون الشهداء والإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأنصاره الأبرار وبحسب ألآتي:

١- الإمام الحسين عليه السلام وأولياؤه هم مؤمنون موحدون بأعلى درجات التوحيد، ابتداءً وإلى حين شهادتهم الدموية واحداً بعد الآخر، بينما كان سحرة فرعون مشركين ومشعوذين ابتداءً وموحدين مؤمنين انتهاءً.

٢- كان هدف الإمام الحسين عليه السلام وجماعته إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض ودحض كلمة الباطل ومحاربة الطاغوت، وهم يعلمون أن ذلك الأمر يكلفهم حياتهم، فأقدموا على ذلك بوعي وعزيمة لا تلين، بينما كان هدف السحرة هدفًا ماديًا ونيلًا للقرب من الطاغية فرعون.

٣- كان الإمام الحسين عليه السلام وجمعه المؤمن من أعلام الأمة وصفوتها النبيلة وهم علماء ربانيون أبرار، بينما كان سحرة فرعون من علماء السحر المادي في زمانهم.

٤- إن الإمام الحسين عليه السلام وجمعه المؤمن كان معارضًا ورافضًا للظلم والظالمين منذ البداية إلى النهاية إلا قليلًا من الذين التحق بمعسكر الإمام بعد أن شعر بموقفه الخاطئ كالحر بن يزيد الرياحي، بينما كان السحرة أجمعين من أنصار فرعون في البداية .

٥- قاتل الإمام عليه السلام وجمعه المؤمن جميعًا واستشهدوا في ساحة القتال بينما قتل السحرة صبرًا وجبراً أي إنهم

لم يختاروا القتال والمقاومة ابتداءً.

٦- الاثنان معا أقبلوا على الشهادة بموقف ثابت وعزيمة لا تلين طمعًا بالأجر الأخروي من عند الله تعالى.

٧- أحدثت شهادة الإمام الحسين عليه السلام وجمعه المؤمن بالله تبارك وتعالى هزة عنيفة في الأمة الإسلامية، وكشفت زيف وخداع وظلم يزيد ووحشيتهم وبعدهم عن دين الإسلام، مما مهد لحدوث ثورات وانتفاضات دامية أضعفت سلطان وحكومة الأمويين، وبالتالي سقوط دولتهم ولحقتهم اللعنة على مر الزمان وإلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، بينما لم تؤثر شهادة السحرة على فرعون وملئه، ولم تحدث تغييرًا في السلوك الإيماني العام للمجتمع الفرعوني آنذاك، بدليل استطاعة فرعون حشد الجيوش الجرارة لملاحقة موسى عليه السلام وأتباعه إلى البحر حيث أغرقهم الله تعالى.

هذا غيض من فيض ذكرناه لبيان أثر التوحيد الأفعالي في السلوك الفردي والجماعي للإنسان والانسانية.

والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم اجمعين إلى يوم الدين والعاقبة للمتقين ■


المصادر:

(١) أعلام الهداية الإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء، تصحيح محمود شاكر، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، رابطة أهل البيت عليهم السلام الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-ش.

(٣) الحكيم، السيد رياض، مراجعات قرآنية، أسئلة، شبهات، وردود، دار الهلال، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٨م.

(٤) الحكيم، السيد محمد باقر، علوم القرآن، الناشر مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٥) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر،مختارالصحاح، دارالكتاب العربي، بيروت، ج.

(٦) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القران، تحقيق صفوان عدنان داوودي، منشورات ذوي القربى، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ-١٣٨٣هـ ش.

(٧) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، إيران- قم الطبعة الأولى المحققة، ١٤٢٥هـ، الجزء الأول.

(٨) كسار، جواد علي، التوحيد.. بحوث في مراتب هو معطياته، تقرير دروس السيد كمال الحيدري، دار فراقد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، الجزء الثاني.

(٩) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الكتاب العاشر، انتشارات فقه، ١٤٣٧هـ.

(١٠) المدرسي، محمد تقي، الإمام الحسين عليه السلام قدوة الصديقين، الناشر دار محبي الحسين عليه السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(١١) المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية، منشورات ذوي القربى، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ ش.

(١٢) نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(١٣) يعقوب، احمد حسين، النظام السياسي في الإسلام، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

# تداعيات الترسيم المعرفي للشخصية التاريخية..

## الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنموذجاً

السيد محمد علي الحلو •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

من اليسير أن تحدد معالم شخصية تاريخية في عالم الذهن والخيال على أساس الموروث التاريخي الذي يتحكم في تحديد الملامح العامة للحدث وشخوصه ومشخصاته..

لكن من العسير جداً أن نقف بتصوراتنا على واقعية تلك الشخصية وملامحها ما لم تنتزع من أذهاننا غبار الموروث بكل مخلفاته وأن نقف على المعطيات التاريخية التي تشارك في تحديد القضية ومشخصاتها.

كثيرُة هي تحديات البحث وأكثر منها النتائج الموضوعية إذا ما ساهمت آليات التحقيق من استنطاق الواقع واستجلاء ظروفه.. ومحنة التاريخ أن يخضع للعملية التلقينية بعد تساهم في تحديد شخصيةٍ ما، ويتبعها في محنته تلك المتلقي الذي ينصاع لما تمليه المفردة التاريخية بغض النظر عن حيثياتها ودواعيها.

الشخصية التاريخية إذن هي إحدى أهم تلك الأمور التي تنصاع تحت المؤثرات التقليدية للموروث المعلوماتي القادم من دواعٍ شتى.. أي أن تكوين الشخصية التاريخية بملامحها الحقيقية تخضع لدواعٍ موروثة تدخل في ترسيم ملامحها، وأهم تلك الدواعي والمؤثرات:

**أولاً**: المؤثرات السياسية.

**ثانياً**: المؤثرات الثقافية للعقل الجمعي. (بما يتصوره الناس حينما يفقد الإنسان والده وأخوته قتلاً وتقتيلاً).

**ثالثاً**: المؤثرات الثقافية الفردية المتعلقة بالفرد نفسه. ولقراءة هذه المؤثرات نقف عندها يسيراً.

## أولاً: المؤثرات السياسية:

تشارك المؤثرات السياسية في ترسيم صورة الشخصية التاريخية وترسيم ملامحها على أساس تعاطيها مع الواقع السياسي للحاكم الذي يفرض رؤيته الخاصة، فإذا كانت تلك الشخصية التاريخية تتلاءم وتوجهات الرؤية السياسية للحاكم، حاول النظام أن يحدد ملامح الشخصية التي لابد للمؤرخ أن يرتسمها في مخيلته التاريخية، أو ضمن مفرداته التي تحدد مشروعه التاريخي، فالشخصية المعارضة للنظام أو المنافسة للحاكم تتعرض إلى حالة الإسقاط النفسي الذي يستعمله الحاكم مع المؤرخ ليصدّر من خلال رؤيته الخاصة في ترسيم ملامحها، كما أن مخيلة المؤرخ تسعى إلى إيجاد صيغة توافقية تنسجم وتطلعات الحاكم والظرف الذي يعيشه المتلقي وقتئذٍ.

## ثانياً: المؤثرات الثقافية للعقل الجمعي:

كثيراً ما يساهم العقل الجمعي عند قراءته للحدث التاريخي في ترسيم الشخصية وملامحها، فربما هناك معطيات معينة تعمل بمشاركة العرف السائد على ترسيم الشخصية التاريخية، أي أن مؤثرات عامة تعمل على تكوين عقل جمعي يستخلص ملامح تلك الشخصية، فالعزلة التي تتغلب على الشخصية التاريخية أو الزهد أو الانكفاء عن الرئاسة الدنيوية، تعطي مؤشراً لخلق عقل جمعي يساهم في تحديد ملامح السكوت الدائم، الانكسار، التذلل، الافتقار.. إلى آخره من هذه المفردات. والمعارضة المسلحة للحاكم تعطي للمخيلة بمعناها العام. وهكذا استخلص العقل الجمعي بقراءته مفردات معينة ساهمت في ترسيم ملامح معينة.

## ثالثاً: المفردات الفردية:

وهذه تساهم بشكل استقلالي للمخيلة الفردية في ترسيم شخصيةٍ ما، فالثقافة الفردية ربما تتحرر من سيطرة المخيلة الجمعية التي تفرض عليها مفردة معينة إلى رحابٍ أوسع في ترسيم هذه المفردات إلى صالح الواقع التاريخي تبعاً لثقافة الفرد واستقلاليته التحقيقية.

هذه هي نوازع الترسيم المعرفي للشخصية التاريخية، وهي ذاتها ستساهم في تحديد ملامح شخصية الأئمة عليهم السلام، ولعل في نموذج شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام ما يمكن أن نقف عند هذه التداعيات التاريخية التي يخلقها المؤرخ بمخيلته.

## شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام:

حينما يستذكر الإنسان شخصية الإمام علي بن الحسين عليهما السلام تنحسر مخيلته في مرامي التصور السحيق الذي لا يعطي إلا صورة الرجل العليل والمريض والمنعزل عن الحياة العامة، لتشكل في الذهن ملامح الصورة القاتمة عن الإمام عليه السلام.

ففي بعدها التاريخي يساهم الموروث التقليدي في ترسيم المَعْلَم العام لهذه الشخصية ليعطيها صبغة

العزلة والانكسار، أو المرض والافتقار بشكل يساهم في ترسيخ فكرةٍ غير واقعية عن هذه الشخصية.

ولا أدري مدى الظرف السياسي الحاكم في إعطاء هذا الأبعاد من شخصية الإمام عليه السلام ومحاولة صياغتها، ولعل المنافسة الزبيرية هي الأخرى تحالفت مع الرؤية الأموية في تعزيز هذه الصبغة (الانكسارية) للإمام عليه السلام، وأقول إنها (انكسارية) ستساهم في تعمية المجهود الإصلاحي الذي قاده الإمام عليه السلام من أجل إنقاذ الأمة فمثلاً:

روى الأصفهاني في أغانيه: أن علي بن الحسين أخاها حملها إليه والضمير يعود على السيدة آمنة بنت الحسين الملقبة بسكينة فأعطاه أربعين ألف دينار[1].

وإذا ساهمت هذه الرواية الزبيرية في ترسيم معالم شخصية علي بن الحسين عليهما السلام فإن كثيراً من الروايات ساهمت في تحقيق هذا الغرض.

## حقيقة الأمر:

إن تداعيات الرؤية السياسية التي ساهمت في تصوير الإمام علي بن الحسين عليهما السلام على أنه كان معزولاً عن الناس لابد أن تأخذ أبعادها من التحقيق التاريخي ضرورة أن يستبين الحق والرشد.

إن المؤرخين شاركوا في تعزيز رؤية العزلة التي عرفت عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، إذ صوروا الإجراء الذي اتخذه الإمام عليه السلام بالابتعاد عن الحياة العامة إبان وصوله إلى المدينة، باتخاذه بيتاً من الشعر خارج المدينة كما في رواية ابن أبي قرة بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كان أبي علي بن الحسين عليهما السلام قد اتخذ منزله من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي عليهما السلام بيتاً من شعر، وأقام بالبادية فلبث بها عدة سنين كراهيةً لمخالطة الناس وملاقاتهم. وكان يصير من البادية بمقامه إلى العراق زائراً لأبيه وجده عليهما السلام ولا يشعر بذلك من فعله[2].

ولعل هذا الحادثة ستعطي تصوراً يشير إلى عزلته عليه السلام، إلا أننا نرى أن الأمر لا يتعدى عن حالة استنكار على كل أولئك المتخاذلين الذين أضحوا منفذين لمشاريع السلطة الغاشمة في التبسيط لمشاريع الإصلاح التي قادها أهل البيت عليهم السلام، فقول الإمام الباقر عليه السلام إنَّ أباه الإمام السجاد عليه السلام ما فعل ذلك إلا (كراهيةً لمخالطة الناس وملاقاتهم) ومصطلح الناس يشير إلى أولئك المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، وليس ببعيد أن يكون هؤلاء أداة الحاكم المتسلط الذي يحاول أن يطيح بأهل البيت عليهم السلام وبرسالاتهم العظيمة. فالنظام بعد واقعة الطف يتعامل مع الإمام زين العابدين عليه السلام على أنه المعارضة الصامتة الموتورة، والتي لابد كما في حساباتها أن يكون الإمام زين العابدين عليه السلام يتحرك على أساس الثأر والانتقام لذا فقد كان إجراؤه عليه السلام سديداً في الانعزال عن الحياة العامة إبان رجوعه من مرافقة الطف، كما أن الإجراء الحذر الذي اتخذه الإمام في تعامله

حتى مع من أراد نصرته قال: هيهات.. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا[٣].

## حركته الجهادية:

واستعراضاً لحركة الإمام السجاد عليه السلام في جهاده منذ كربلاء وما بعدها، يكشف أن شخصيته الجهادية تحبط مدعيات النظرة السلبية التي حاولت أن تحيط بالإمام عليه السلام.

إن انعزاله عليه السلام عن الناس لم يدم طويلاً فقد كسر هذا الانعزال بدخوله المدينة قبيل وقعة الحرة وحاول عليه السلام أن يواسي المنكوبين ويضمد جراحاتهم، ومعلوم أن الفترة الزمنية بين رجوعه من كربلاء وبين وقعة الحرة لم تتجاوز بضعة أشهر، مما يعني أن عزلته لم تدم طويلاً حتى راح يمارس دوره القيادي الجهادي كذلك.

## ففي كربلاء:

حيث تشير بعض المصادر إلى أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان مقاتلاً في واقعة الطف. ففي ذكره لمن قتل مع الحسين عليه السلام ذكر الفضيل بن الزبير الأسدي الرسّان، وكان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، حيث قال: وكان علي بن الحسين عليهما السلام عليلاً وارتثَّ يومئذٍ، وقد حضر بعض القتال فدفع الله عنه وأخذ النساء[٤]. والنص الآخر: ما ذكره ابن شهرآشوب في مقتل علي بن الحسين عليهما السلام: قطعته مرة بن منقذ العبدي على ظهره غدراً فضربوه بالسيف فقال الحسين عليه السلام على الدنيا بعدك العفا وضمه إلى صدره وآتى به إلى باب الفسطاط. فصارت أمه شهربانو ولهى تنظر إليه ولا تتكلم[٥].. ومن المعلوم أن شهربانو هي أم الإمام علي بن الحسين عليهما السلام باتفاق المؤرخين.

والنص الثالث: قال أحمد بن حنبل: كان سبب مرض زين العابدين عليه السلام في كربلاء أنه كان ألبس درعاً ففضل عنه فأخذ الفضلة بيده ومزقه[٦].

وعلى أي حال فإن الإمام عليه السلام كان قد شارك في القتال على أساس النصوص التي بين أيدينا، إلا أن الله تعالى شاء أن يدفع عنه القتل بما ابتلاه من العلة، مما دعا الأمويين أن يتركوه عليلاً بعد أن كان قرارهم تصفية أهل البيت عليهم السلام.

## وفي الأسر:

إن مفهوم الأسر هو التبادر إلى ذهن الإنسان كل ما تحمله الكلمة من الانكسار والذل والخوف والخضوع إلى آخره، إلا أن أسر الإمام السجاد عليه السلام اختلف عن ذلك بكل تفاصيله.

فالإمام عليه السلام لم يكن أسيراً بقدر ما كان أميراً، ولم يكن منكسراً بقدر ما كان منتصراً، فإن الأسر لم يغير من عزيمة الإمام عليه السلام شيئًا حيث كانت خطبته في الأسر تشير إلى حيوية الثائر المقاتل بكل فصوله البطولية، فمن خطبه: (أيها الناس! إن كل صمت ليس فيه فكر فهو عي، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو هباء. ألا، وإن الله تعالى أكرم أقوامًا بآبائهم، فحفظ الأبناء بالآباء، لقوله تعالى:

﴿**وكان أبوهما صالحًا**﴾ [سورة الكهف الآية (٨٢)] فأكرمهما.

ونحن - والله - عترة رسول الله ﷺ، فأكرمونا لأجل رسول الله، لأن جدي رسول الله ﷺ كان يقول في منبره: (احفظوني في عترتي وأهل بيتي، فمن حفظني حفظه الله، ومن آذاني فعليه لعنة الله، ألا، فلعنة الله على من آذاني فيهم ) حتى قالها ثلاث مرات . ونحن - والله - أهل بيت أذهب الله عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن...)[٧].

وفي خطبة له في مجلس يزيد قال عليه السلام:

(أيها الناس أعطينا ستًّا وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمدًا، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة. من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي..)[٨].

## كيف كان الإمام عليه السلام يفسر القرآن:

لم يترك الإمام السجاد مناسبة دون أن يعلن فيها أحقية أهل البيت في خلافة النبي ﷺ خلاف ما يدعيه الأمويون وأن النجاة في اتباعهم والهلاك في مخالفتهم، فمثلاً حينما يُسأل الإمام السجاد عليه السلام عن تفسير قوله تعالى ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ..**﴾ (البقرة:١٩٧) قال: ﴿**لكم في القصاص حياة**﴾ الآية ولكم يا أمة محمد ﷺ في القصاص حياة لأن من هَمَّ بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكف لذلك عن القتل، كان حياة للذي هَمَّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس، إذا علموا أن القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص، يا أولي الألباب: أولي العقول لعلكم تتقون.

ثم قال عليه السلام: عباد الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا، وتفنون روحه، أفلا أنبئكم بأعظم من هذا القتل، وما يوحيه الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟

قالوا: بلى يا بن رسول الله.

قال عليه السلام: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلًا لا يجبر ولا يحيى بعده أبدًا . قالوا: ما هو؟ قال: أن يضله عن نبوة محمد، وعن ولاية علي بن أبي طالب، ويسلك به غير سبيل الله، ويغير به باتباع طريق أعداء علي والقول بإمامتهم، ودفع علي عن حقه، وجحد فضله، وألا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبدًا، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم) [٩].

## في مجال الدعاء:

لم يزل الحديث النبوي محظوراً عليه من قبل الأمويين، فهم مازالوا يتوجسون من رواته ويحذرون من روايته، فكيف بالإمام زين العابدين عليه السلام وهو المعارض في نظر السلطة والمنافس والموتور بأهله وأبيه؟! ماذا سيكون تصور السلطة عندما يلقي الإمام عليه السلام أحاديثه وهي تندد بالسطة الظالمة؟ لابد إذن أن يكون دعاؤه محظوراً ومحسوباً له حساب المعارض..

إلا أن الإمام عليه السلام أسس برنامجه الروائي

على أساس الدعاء الذي كان يلقيه في كل مناسبة، وكانت الصحيفة السجادية تشع بما أودعه الإمام عليه السلام من معارف وأحكام ورؤى وسياسات تصلح أن تكون دستوراً لحياة إنسانية يعمها الخير والسلام.

لقد كان دعاؤه عليه السلام يتفجر بكلماته ثورة تستعرض في صميم الأحداث، وكانت تحفز الأمة إلى مراجعة ذاتها لتقرأ الواقع من جديد.. إنه واقع ممسوخ تعيشه الأمة في خضم الزيف الأموي الذي ما فتئ يصور للأمة أحقيته في الخلافة والإمامة، إلا أن دعاء الإمام كان صرخة مدوية في أرجاء الدهر.. ونماذج من أدعيته في الصحيفة السجادية توقفنا على هذه الحقائق.

## في دعائه يوم عرفة:

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَمَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ (مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً)، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الْأَعَزِّ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ، وَقَوِّ عَضُدَهُ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ وَانْصُرْهُ بِمَلَائِكَتِكَ، وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الْأَغْلَبِ . وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ (صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَاءَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبِنْ بِهِ الضَّرَّاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَائِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ).

وكان عليه السلام يقول في دعائه ليوم الجمعة والأضحى:

(اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لِخُلَفَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ وَمَوَاضِعَ أُمَنَائِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا قَدِ ابْتَزُّوهَا، وَأَنْتَ الْمُقَدِّرُ لِذَلِكَ، لَا يُغَالَبُ أَمْرُكَ، وَلَا يُجَاوَزُ الْمَحْتُومُ مِنْ تَدْبِيرِكَ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنَّى شِئْتَ، وَلِمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ غَيْرُ مُتَّهَمٍ عَلَى خَلْقِكَ وَلَا لِإِرَادَتِكَ حَتَّى عَادَ صَفْوَتُكَ وَخُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزِّينَ، يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدَّلًا، وَكِتَابَكَ مَنْبُوذاً، وَفَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتِ أَشْرَاعِكَ، وَسُنَنَ نَبِيِّكَ مَتْرُوكَةً . اللَّهُمَّ الْعَنْ أَعْدَاءَهُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعَالِهِمْ وَأَشْيَاعَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ) ■


**المصادر:**

(١) الأغاني ١٦: ١٩٥.
(٢) فرحة الغري: ٤٣.
(٣) الاحتجاج: ٦ـ ٣، تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام مجلة تراثنا العدد(٢) ص١٥٠ عن جهاد الإمام السجاد عليه السلام ص٤٣.
(٤) الناقب لابن شهرآشوب.
(٥) ١١٨ دار الأضواء.
(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٥.
(٧) جهاد الإمام السجاد عليه السلام السيد محمد رضا الجلالي: ٤٩ عن بلاغة علي بن الحسين عليهما السلام.
(٨) بحار الأنوار / المجلسي ج٤٥ ص ١٣٨
(٩) الاحتجاج:٣١٩.

# رابطة المنبر.. عرض أم جوهر؟!

**موفق السيد حمزة الماجد** •
القطيف/ المملكة العربية السعودية

ينابيع

تركض الأيام، وتهرول الشهور، وتمشي السنين، وتمضي الأعمار، وتتقادم الدهور، وذلك البستان أخضر يانع. وماؤه الرقراق العذب يتدفق ليروي كل الظمأى. فيا له من بستان يانع، ذي جمال فاقع. ويا له من دواءٍ ناجع، ومن مشفٍ نافع. ويا له من هادٍ ساطعٍ ناصع. ويا له من حرزٍ مانع، ومن منقذٍ شافع. فقافلة الظمأى تسري وتسري، والطريق طويل، بلا أشجار ولا نخيل، ولا ظلٍ ولا ظليل. فبين مستشهدٍ على هذا السبيل، وبين ماضٍ وقاضٍ إذا أزف الرحيل. قافلةٌ تمشي حدواً وتَكْبُر، إلى ذلك البستان تحدق وتبصر، لا رجوع ولا تقهقر. إنه الحر حينما يتفكر. إنه الحزم حينما يتصبّر. إنه العزم حينما يتفجّر. فبين قاطفٍ لثمر، وبين مستظل بشجر. لكن كلهم حول الوردة الحمراء يدور، فقلوبهم تتفطر، والدموع منهم تتحدّر.

كيف لا، وقد قيل فيهم: إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي. فتمسّك النّحل بوردتهم، فقيل فيهم: أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة. فالعزم هو العزم. والهمُّ هو الهم. لكنّ عجلة الحياة تدور. والطاقات منهم تفور. ليبدع هذا، ويطور ذاك. والكل يدور، حول خدمة ذلك البستان، فهذا يسقيه بدمائه. وهذا يرويه بمداده. والكل خدم. على أعتاب بستان أشرف الخلق والأمم صلى الله عليه وآله.

فمع تقدم العلوم، وتزايد الخصوم، وتعدد الوسائل والأساليب، فإن الدعوة إلى كل خير تنفتح أمامها طرقٌ كثيرة، وصعوبات مريرة. ما يحتم على الدعاة التحلي بجمال الأسلوب، وصلابة القلوب، وتوسيع آفاق الفكر، والتحزم

بالصبـــر. (لذا فإن الســـعي للكمال لدى كل المخلوقات التي يلاحقها النقص هو دوام تقييمها لنفســـها وما تقوم به من أفعال. إلا أن نفس هذا التقييم يتطلب دوام المراقبة، والتي يعتبرها أصحاب السير والسلوك من ضروريات سيرهم وسفرهم نحو الكمال. وسيقود هذان المبدآن بضرورة المحاسبة. فإن كنا نتحدث عن الفرد الإنساني، فلابد من أن يقوم بمحاســبة نفســه بعــد أن قام بهاتين المرحلتين، ألا وهما دوام المراقبة والتقييم.

وكذا فإن هذه المراحل الثلاث ستقود لتحفيز وحث الإنسان للتخلص من العيوب وبالتالـــي تحقيـــق المزيد مـــن الفتوحات الكماليـــة في وجود ذلك الإنســـان. ويمكن تمثيل ذلك بالشكل رقم (١):

وإذا كانـــت الحـــال هذه، فـــلا بد إذن من هذه المبـــادئ الأربعة للوصول للكمال. وهذا بالطبع ينطبق على المجتمع البشـــري وتقدمـــه. لـــذا فلابد لأي مؤسســـة خدمية تســـتهدف خدمة مجتمعها من القيام بشكل دائم بهذه الخطوات الأساسية الأربع. وكذا فإنـــه يتوجب على المســـتفيد من خدمات تلك المؤسســـة القيام بمثل هذه الخطوات الأساســـية الأربع. هذا إن كنا نريد وصولاً للكمـــال وتحقيقـــا لرقـــي المجتمـــع. إذن فـــإن عملية التكامـــل تفرض علينـــا القيام بالمراقبـــة، والتقييم، وكذلك المحاســـبة. وهذه الأمور يمكن لأي شخص أن يقوم بها بنفســـه. وفي طيات الليالـــي. إلا أنه حينما يتعلـــق الأمر بطرف آخـــر، فإنه قد تظهر فيه تفصيلات عديـــدة، يكون من الصعب

أن يقوم الفرد بتقييم نفسه والاكتفاء بذلك. فقد يتوجب عليه أخذ آراء الآخرين في ذلك. فكيف إذا ما تعددت أطراف ذلك العطاء.

إن عناصر عطاء المنبر الحسيني متعددة. فإن عناصره مؤلفة من : الخطيب، الجمهور، القائمين على المآتم (أصحاب المآتم) والمجتمع العام. إن هذه المنظومة الرباعية العناصر، يشكل الخطيب قطب الرحى فيها. صحيح أن العلاقات بين بقية العناصر بمعزل عن الخطيب لا يمكن إنكارها، إلا أن ما يمثله الخطيب من دور محوري أمر لا يمكن إنكاره. إلا أن العامل التالي في الأهمية للخطيب قد يتمثل في المتلقي. ثم بعد ذلك يأتي دور أصحاب المآتم، ثم عامة المجتمع البعيد (البيئة المحيطة). لذلك فإن أي بغية للتطوير يستهدفها أحد قد تمثل عملية صعبة متشابكة الأطراف، متباعدة النهايات. وبالطبع فإن ذلك قد يشكل عملية معقدة.

هذا وبصرف النظر عما أحدثته الثورة العلمية والمعلوماتية والتكنولوجية من تغيير على كافة الأصعدة. إذ إنّ بعض ما بزغ بشكل فاقع، هو المنبر الحسيني الإفتراضي. ما دفع الكثير من أصحاب المآتم الكبرى من السعي إلى بثّ مراسم مآتمهم بالبث الحي، إما عبر القنوات التلفزيونية، أو من خلال المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنيت.

فلو ركزنا وتد حديثا على أرض الواقع، ونصبنا عمود اهتمامنا على تلك المباني المباركة، والمآتم الاعتيادية المنتشرة كالزهور حول بستان ولاية أهل البيت عليهم السلام، فإننا سوف نعطي المتلقي (جمهور المستمعين) أهمية كبرى. فما يريده عامة الناس (المجتمع العام)، قد لا يشكل تطابقاً مع الشريحة من الناس المتربعة في صدر الحسينية والمآتم. وقد يظهر بذلك بعض التناقض. فبالرغم من أهمية المجتمع القريب (المتلقي، المستمع)، إلا أنه قد تتشكل بعض الحواجز بشكل أو بآخر، ولسبب أو لآخر، بين الخطيب والمتلقي، ما يجعل الخطيب في عزلة. وقد يقود ذلك بالتالي إلى تبادلٍ في مراتب التأثير. فتصعد رتبة أصحاب المآتم، على حساب الشريحتين الأخريين، المجتمع القريب (المتلقي والمستمع)، و المجتمع البعيد (البيئة المحيطة). انظر الشكل رقم (٢). صحيح أن ما ذكرناه هو محض قول نظري افتراضي. إلا أن احتمالية تحققه في الواقع أمر غير مستبعدٍ بتاتاً. وبصرف النظر عن اختلاف أثر كل حالة عن الأخرى، إلا أن كلا الحالين يشكل صعوبة على قيام الخطيب بتطوير أداء منبره، أو حتى ملامسة رغبات الناس فضلاً عن تكهُّن احتياجاتهم.

**شكل (١): خطوات التكامل**

شكل (٢): تدرج أهمية العوامل المؤثرة على المنبر

ومن خلال ما تمثله عملية الخطابة المنبرية من تعدد في العناصر، وتفاوت في المؤثرات. بل وحقوق للخطيب (الناحية المالية مثلاً)، هي واجبات على الطرف الآخر. وواجبات على الخطيب، هي حقوق للطرف الآخر. فإن الخطابة تمثل مهنة كباقي المهن. لابد من مؤسسة تعنى بشؤون المنتسبين لها. وإذا سلمنا بأن الخطابة مهنة، فإنها رأس المهن المتوج بتاج فخر خدمة الدين ومبادئه. لذا فوصولاً لأفضل السبل للارتقاء بأداء المنبر والخطاب الحسيني، فلابد من جهة أو مؤسسة عريضة الفروع تقوم بهذه الأعباء. فتوحيد رؤى وأهداف وجهود ومواقف المنبر، تطوير أداء الخطباء، تفعيل دور المنبر الحسيني، توثيق العلاقة بين الخطيب والمتلقي، وكذلك توثيق العلاقة بين المنبر والمواكب الحسينية، هي أهم الأهداف التي تقع على عاتق المؤسسة المعنية بشؤون المنبر الحسيني. وحيث إن من المتوقع أن تتفرع غصون المؤسسة المرجوة لتطوير المنبر الحسيني، فسوف نحاول تناول ثمار حديثنا عبر الغصون التالية: الخطيب، المجتمع القريب (المتلقي)، المجتمع البعيد (البيئة المحيطة)، أصحاب المآتم، والمواكب الحسينية. إلا أننا لن نتحدث في هذه الورقة عن المواكب الحسينية، وذلك ابتعاداً عن الإطالة والتشعُّب.

## الخطيب:

كما ذكرنا، فإن الخطيب يمثل حجر الأساس في بناء صرح المنبر الحسيني. لذا فإنه كلما تقدم أداء خطباء المنبر الحسيني تبدأ حلقات سلسة العناصر المؤثرة على المنبر الحسيني تزيد قوةً وصلابةً، ما يؤدي إلى تجاوز أهم مرحلة في تطوير أداء المنبر بشكل عام. إلا أن أي تطوير لابد له من خطوات أولية تبتدئ بها المسيرة التكاملية. فإن دوام المراقبة يؤدي في الغالب إلى الالتفات لمواطن الضعف والخلل. وهذا بالتالي سيؤدي إلى التوصل إلى تقييم الذات من خلال القوة (الإمكانيات الكامنة لدى الخطيب)، ومن خلال الفعل (الأداء الذي يؤديه الخطيب). ومن خلال مقارنة الفرق بين الإمكانيات والأداء فإنه يظهر لديه مقدار التقصير. وهذا ما نطلق عليه مبدأ المحاسبة. وكلما كان الفرق بين الإمكانيات والفعل كبيراً (سواءً كان الفرق سلبياً أم إيجابياً) فإن الطاقة المحفزة (حالة التحفيز الداخلية) ستكون كبيرة. انظر الشكل رقم (٣).

إلا أن الهدف الأسمى من كل هذه العملية هو التكامل والتطور. وللحصول

على الكمال فإن القوة الكامنة في الخطيب لا بد أن تتأثر بمقدار التحفيز. أي إننا لو أردنا الحصول على مقدار التكامل والتطور لدى الخطيب، فإن علينا أن نضرب مقدار هذين العاملين في بعضهما. ولابد من القول بأن الشكل السابق يحوي علامات موجبة (+)، ونحن نقصد بالجمع هنا أكان لقيمة سلبية أم إيجابية.

صحيح أن هذا الحديث هو حديث نظري صِرف، وأن المعايير التي نتحدث عنها هي نسبية، وصعبة القياس، بل قد نقول متعذرة القياس، فإننا نذكرها هنا من أجل التأكيد على عوامل التكامل، والعلاقات البينية بين عوامل التكامل التي ذكرناها أعلى سطور هذه المقالة. بالطبع فإننا لابد أن نؤكد على أهمية أن يكون التقييم غير مقتصر على التقييم الذاتي، أي تقييم الخطيب لنفسه، بل من خلال تقييم الشريحة المستهدفة أيضاً. إذ إن كل المؤسسات، سواءٌ المؤسسات الخدمية أم المؤسسات الاستثمارية والربحية تعتمد على تقييم أدائها من خلال معرفة مدى رضا الشريحة المستهدفة (المستفيد، أو العميل والزبون). لذا فمن المهم أن نؤكد على أهمية المتلقي، فهو المستفيد الأول. بل لابد من إعطاء تقييمه الأهمية الكبرى.

## المجتمع القريب (المتلقي):

إن إقدام أي إنسان على شيء لابد له من أن يضمر في نفسه بغيةً وهدفاً أو أهدافاً معينةً يتوقع من خلال قيامه أو إقدامه على ذلك الشيء الحصول عليه. وهذا بالتالي ما يجعل المتلقي يختار خطيباً ما على آخر. صحيح بأن المتلقي يستهدف كسب الثواب والأجر من كل ذلك، إلا أنه في الوقت ذاته يتمنى الحصول على شيء آخر، ولو كان بشكل عرضي غير أساسي. إلا أن ما يجدر بنا الحديث عنه هو ما سيخرج به المتلقي. وهل هو قد أحرز ما كان يبغي؟، وهل أنه قد خرج راضياً قانعاً مقتنعاً بما قد كسبه؟. إن هذه الأسئلة تمثل أهمية كبرى للمتلقي، الأمر الذي قد لا يمثل أهمية لدى بعض الخطباء. خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن الخطيب قد لا يوافق المتلقي الرأي فيما يستهدفه الأخير (المتلقي). أو أن الخطيب قد قام بمعالجة قضية ما، بطريقة ما، وكان ذلك على خلاف ما يراه المتلقي. فضلاً عن أهمية القضية التي تناولها الخطيب بالنسبة للمتلقي. وفي المقابل لو افترضنا حصول تعارض بين ما يبغيه المتلقي أو ما يتوقعه من الخطيب، وبين قناعة ذلك الخطيب بما طرحه هو، وكذلك رأيه فيما يبغيه المتلقي ويتمناه.

إلا أن السؤال المهم، الذي يجب

شكل (٣): عملية التحفيز

طرحه هنا هو ؛ هل أن ما يستهدفه المتلقي هو راجح عند المتلقي الآخر؟ ، وهل ما يستهدفه المتلقي يمثل أهمية لدى بعض النخب التي قد تؤثر على رأي الخطيب. وذلك من خلال ثقة الخطيب بتشخيص أولئك الثلّة. وكذلك يجدر بنا التساؤل حول رأي ذلك المتلقي ونسبة ما يمثل ذلك الرأي من حاجة حقيقية لدى بقية شريحة المجتمع القريب (بقية المتلقين). هذا لو سلمنا بأن ما يراه المتلقي أو ما يطلبه يشكل أهمية حقيقة. وبعبارة أخرى ؛ هل أن ما يبتغيه المتلقي يمثل حاجة، أم رغبة؟. وإذا كانت تمثل رغبة بالنسبة للمتلقي، أفهل تمثل تلك الرغبة حاجة إليه وإلى مجتمعه؟. وإذا اختلفت أو تباينت حاجة المتلقي ورغبته، فماذا سيفعله الخطيب؟ ، ما الذي سيقدمه الخطيب؟ ، هل سيقدم رغبة المتلقي أم حاجته؟. وما الذي يتوجب على الخطيب فعله؟. ولو قام الخطيب بتقديم حاجة المتلقي على رغبته، فماذا سيكون انطباع المتلقي؟ ، وكيف سيكون مستوى رضاه؟ ، وكيف سيكون ردة الفعل عنده؟.

إن حالة الرشد عند الأفراد تمثل حالةً نموذجية ومثالية. وهي بالطبع مستهدفة من قبل جميع الناس. وكذلك فإن استهداف تحقيق هذه الحالة تمثل الغاية القصوى لدى الخطباء، حسبما يفترضه عليهم دورهم الرسالي، والديني. وإن الخطيب النموذجي لا يسعى لتحقيق رغبة المتلقين، بقدر ما يستهدفه من تحقيق حاجتهم. إذ إن المتلقي الراشد هو ما تطابقت رغباته بحاجاته.

كل ما مضى من حديثٍ قد تحدثناه منطلق من افتراض وجود علاقة بين الخطيب والمتلقي. ولكن، هل يمكننا إنكار ما تمثله علاقة الخطيب بالمتلقي من قوة وقرب؟. وهل يجدر افتراض عكس ذلك؟. إن الحضور الحاشد المشهود والواضح في شهر المحرَّم الحرام -خصوصاً- أمر لا ينكره أحد. وهذا يدلنا على أن العلاقة بين الخطيب والمتلقي علاقة وثيقة وقوية. ولكن أي نوع من العلاقة تلك التي وسمناها بالقوية. إذ إن كون انجذاب جهةٍ ما لأخرى، قد لا يدل ولا يستلزم من أن الطرف الآخر على حالٍ من الانجذاب نحو تلك الجهة. أي إنه يمكن أن تكون العلاقة بين الخطيب والمتلقي قوية في اتجاه، وضعيفة في الاتجاه المقابل. إذ يمكن أن تكون علاقة المتلقي نحو الخطيب هي علاقة قوية. إلا أن علاقة الخطيب نحو المتلقي هي علاقة ضعيفة. وهذا ما يفسر لنا حال كون الخطيب يعيش انعزالاً وبعداً عن فهم ما يرغب إليه المتلقي، فضلاً عن فهمه لما يحتاجه ذلك المتلقي. انظر الشكل رقم (٤).

إن الحالة المثالية في هذا هو أن يبحث

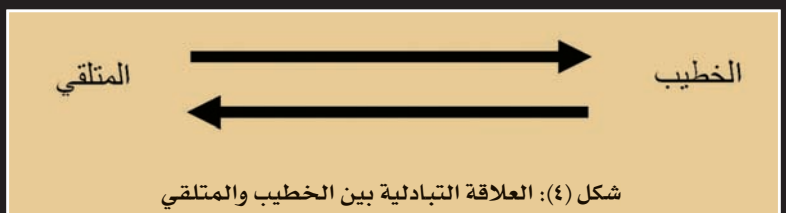


**شكل (٤): العلاقة التبادلية بين الخطيب والمتلقي**

المتلقي عمّا يحتاجه. وأن تكون رغبته متماثلة مع حاجته. ولو تزاحمتا (اختلفتا)، فإن الفرد الراشد سيقدم حاجته على رغبته. وكذلك فإن من الكمال أن يتطلع الخطيب لما يحتاجه المتلقي، لا إلى ما يرغبه. ولا بد لكليهما أن تكون علاقته بالآخر علاقة قوية. إذ إن العلاقة هي علاقة تبادلية، كل منهما يعطي الآخر.

## أصحاب المآتم:

إن شرف الخدمة في المآتم الحسينية عظيم. وهذا يتمناه كل موالٍ محب لأهل البيت عليهم السلام. إلا أن الدور الذي يمثله أصحاب المأتم أو المسؤولين عن إدارته يمثل عماداً ومحوراً هاماً قد لا يقل عن أهمية المتلقي في بعض الأحيان. بل قد يصل الحال إلى أن يطلب أصحاب المأتم أمراً قد يتنافى مع ما يراه الخطيب، أو ما يراه المتلقي، أو أن ما يطلبه أصحاب المآتم يتنافى مع طرفي المعادلة الرئيسيين. وهما الخطيب والمتلقي. أو أن أصحاب المأتم يعيشون ضيق أفقٍ، ما قد يمكن أن ينعكس بشكل سلبي على أداء الخطيب.

إلّا أننا لو جردنا الحديث أكثر لنقول بأن أصحاب المأتم يستهدفون كسب الثواب والأجر، دونما وعي بأهمية المنبر ودوره الرسالي. وحيث ما يتقاضاه الخطيب من أجر فهو مستحصل من أصحاب المأتم. فإن الخطابة وإن سمت فإنها تبقى مهنة يؤجر عليها الخطيب. وفي الحالات التي تكون فيها العلاقة المتبادلة بين الخطيب والمتلقي هي غير متبادلة (أي ليست ذات اتجاهين)، فإن المتلقي سيكون هو الخاسر. أي أن رُؤاه وحاجاته لم يتحصّلْها من ذلك المأتم.

لذلك فإن الحالة المثلى هنا أن يكون أصحاب المأتم مستهدفين رضا الله، عبر إحياء الذكرى ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام. وإن الطرف الأهم الذي لو تحققت فائدته، فإنه سيبلغ ذلك المأتم إلى رتبة مثلى. فقد ورد على لسان أهل البيت عليهم السلام (رحم الله من أحيا أمرنا). وهل أمر أهل البيت عليهم السلام إلا أن ينشر الوعي الديني بشتى فروعه للناس؟. ولعل هذه الرواية تذكرنا بالآية الشريفة التي تقول؛ (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب). وهل أن تعظيم الشعائر، وإحياء الأمر، إلا أن يعي الناس دين الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. إذ إن كل ذكر لله تعالى ولرسوله وأهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام إنما هو فخر للمؤمن، وريا لظمئه، وإيقاداً لنور بصيرته، وإحياءً لقلبه.

## المجتمع البعيد (البيئة المحيطة):

يمثل المجتمع العام التربة التي تنمو عليها نبتة الصلاح. فبرغم ما يشكله الفرد الإنسان من مؤثر في الكل المجتمعي، فهو يمثل خلية، من خلايا ذلك المجتمع. وإن تكاثرت تلك الخلية وأنجبت أمثالاً فسيتشكل المجتمع الخليوي المتولد من نواة تلك الخلية، فبرغم ما يشكله الرد من أهمية من خلال هذا السياق، فإن المجتمع يغذي الفرد أيضاً بطريقة ارتجاعية. فالعادات، والتقاليد، والأعراف كلها من نتاج ذلك المجتمع. فضلاً عمّا يؤثره الدين من حاكمية في المجتمع الديني، فإن المجتمع يشكل رافداً وحاجزاً في الوقت

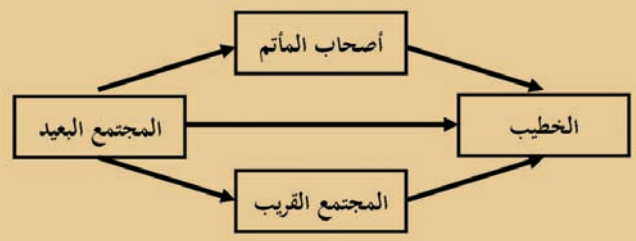


شكل (٥): أثر المجتمع البعيد على الخطيب

نفسه لأي حدث إيجابيًا كان أم سلبًا.

كذلك فإن الخطيب يتأثر بالمجتمع البعيد. فهو يفترض عليه الأعراف والتقاليد والعادات. وقد تكون هذه العادات والتقاليد منسجمة مع تعاليم الدين الحنيف والثورة الحسينية، وقد لا تكون. فإن كان الأثر الديني واضحاً على المجتمع البعيد، وكان المجتمع يعيش حالة الرشد والوعي، فإنه يدفع تأثر الخطيب بشكل إيجابي. ومن الجدير بالإشارة ذكراً هو أن الأوضاع السياسية وسلطة الدولة تشكل جزءاً من ذلك المجتمع البعيد الذي نتحدث عنه.

إذن فيمكننا القول بأن أثر المجتمع البعيد في الخطيب يتجسد بشكل مباشر وغير مباشر. فالأثر المباشر هو أن يتأثر الخطيب بذلك المجتمع البعيد. وأما الأثر غير المباشر فله شكلان.الشكل الأول هو أن يؤثر المجتمع البعيد في أصحاب المأتم، ومن ثم يؤثر أصحاب المأتم في الخطيب. أما الشكل الآخر من الأثر غير المباشر هو أن يؤثر المجتمع البعيد في المجتمع القريب(المتلقي)، ومن ثم يؤثر المجتمع القريب في الخطيب. انظر الشكل رقم(٥).

## الخاتمة والتوصيات:

- توحيد رؤى المنبر وأهدافه وجهوده ومواقفه.
- إنشاء لجنة متخصصة لتحديد توجه وشعار للموسم وأهم المواضيع لكل عام بناءً على أسس علمية.
- عقد لقاءات تضمُّ جمهور المنبر الحسيني وخطباءه.
- عقد لقاءات ورش عمل بين الخطباء للتشاور حول أهم المواضيع والقضايا.
- عمل ورش ودورات تدريبية لأصحاب المآتم وقيِّميها.
- إنشاء لجنة عامة تعنى بشؤون المآتم.
- إنشاء لجنة متخصصة تعنى باستقبال ملاحظات المستمعين والمتلقين وشكاواهم وانتقاداتهم.
- تحويل العمل المنبري الحسيني إلى عمل مؤسساتي بهدف التطوير ■

**الهوامش:**

(١) موفق الماجد، حاسبوا المجالس البلدية، شبكة القطيف الإخبارية، ٢٠١١م.

# شرعنة الإصلاح.. في الثورة الحسينية

م. م. حسنين جابر الحلو •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

## الحسين عليه السلام وأطوار النشأة المحمدية:

تمهيد

الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، كنيته أبو عبد الله، حفيد رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ومن أهل بيته عليهم السلام، أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين، أمه فاطمة بنت محمد بن عبد الله والحسين عليه السلام ثالث الأئمة المعصومين عليهم السلام، إخوته كثيرون وأشهرهم الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وتزوج الحسين عليه السلام من شهربانو بنت يزدجرد فأنجبت له علياً زين العابدين عليه السلام، وتزوج ليلى بنت عروة بن مسعود الثقفية فأنجبت له علياً الأكبر عليه السلام، والرباب بنت امرئ القيس فأنجبت له سكينة وعبد الله الرضيع عليهما السلام، وأم اسحق بنت طلحة فأنجبت له فاطمة بنت الحسين عليهما السلام.

وشملته الرعاية المحمدية ست سنوات (حسين مني وأنا من حسين)[1] ثم انتقل إلى مدرسة والده العظيم علي بن أبي طالب عليه السلام مقتدياً بنهجه مدّة ثلاثين سنة في حفظ الدين وإدارة شؤون الأمة ومشاركة والده في حروب الجمل وصفين والنهروان. وبعد ذلك عايش أخاه الحسن عليه السلام وأحداث إمامته بما فيها صلحه مع معاوية، وكان جندياً مطيعاً لأخيه منقاداً له في جميع مواقفه التي اتخذها في مدّة إمامته التي استغرقت (١٠ سنوات).

## مع الحسين عليه السلام في المدينة:

في المدينة المنوّرة كان الإمام الحسين عليه السلام يراقب المخطط الأموي الإرهابي الذي عمل معاوية على تنفيذه، بدءاً من إشاعة الإرهاب والتصفية الجسدية

لأتباع علي عليه السلام أمثال حجر بن عدي ورشيد الهجري وعمرو بن الحمق الخزاعي.. مروراً بإغداق الأموال من أجل شراء الضمائر والذمم وافتراء الأحاديث الكاذبة ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله للنيل من علي وأهل بيته عليهم السلام، وإثارة الأحقاد القبلية والقومية للعمل على تمزيق أواصر الأمة وإلهائها عن قضاياها المصيرية. وانتهاءً باغتيال الإمام الحسن عليه السلام تمهيداً لتتويج يزيد ملكاً على الأمة من بعده واتخاذ الخلافة طابعاً وراثياً ملكياً. وقد تمّ كل ذلك فعلاً بمرأى الإمام الحسين عليه السلام ومسمعه. فكان لابد من اتخاذ موقف الرفض والمواجهة لاستنهاض الأمة وحملها على مجابهة المشروع الأموي الجاهلي الذي بلغ الذروة بتولي يزيد للسلطة وحمل الناس على مبايعته بالقوة عقب وفاة معاوية سنة ٦٠ للهجرة.

تحرّك الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة التي كانت أكبر قاعدة دينية في الإسلام ومحلاً لتجمع الشخصيات الإسلامية الكبيرة. وذلك في سنة ٦٠ للهجرة. وكان بصحبته عامة من كان بالمدينة من أهل بيته عليهم السلام إلاّ أخاه محمد بن الحنفية. وحدّد بذلك موقفه الرافض للبيعة: (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)[٢] والهدف من تحركه هذا: (وإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا

ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)[٣].

## مع الحسين عليه السلام في الكوفة:

لما وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة الأموي الجديد الذي قام على الفور بعزل والي الكوفة النعمان بن بشير بتهمة تساهله مع الاضطرابات التي تهدد الدولة الأموية، وقام الخليفة يزيد بتنصيب والٍ آخر كان أكثر حزمًا اسمه عبيد الله بن زياد، قام بتهديد رؤساء العشائر والقبائل في منطقة الكوفة بإعطائهم خيارين، إما بسحب دعمهم للحسين عليه السلام أو انتظار قدوم جيش الدولة الأموية ليبيدهم على بكرة أبيهم. وكان تهديد الوالي الجديد فعّالاً فبدأ الناس يتفرّقون عن مبعوث الحسين عليه السلام، مسلم بن عقيل عليه السلام شيئًا فشيئًا لينتهي الأمر بقتله، واختلفت المصادر في طريقة قتله، فبعضها تحدث عن إلقائه من أعلى قصر الإمارة، وبعضها الآخر عن سحبه في الأسواق، وأخرى عن ضرب عنقه، وقيل إنه صُلب، وبغض النظر عن هذه الروايات فإن هناك إجماعًا على مقتله وعدم معرفة الحسين عليه السلام بمقتله عند خروجه من مكة إلى الكوفة بناء على الرسالة القديمة التي استلمها قبل تغيير موازين القوة في الكوفة، وقد علم بمقتل مسلم بن عقيل عليه السلام عندما كان في منطقة زرود في الطريق إلى العراق.

## مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء:

استمر الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره بالمسير حتى وصلوا صحراء كانت تسمى الطف، (وذلك في الثاني من المحرم سنة إحدى وستين. فلما كان من الغد قدم عمر بن سعد في أربعة آلاف فارس فنزل نينوى. فبعث إلى الإمام الحسين عليه السلام عما جاء به فقال الحسين عليه السلام: (كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذا كرهوني فأنا أنصرف عنكم). وكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد يخبره الخبر، فردّ ابن زياد بكتاب إلى عمر بن سعد جاء فيه: (أما بعد.. فقد بلغني كتابك وفهمته، فأعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه...)، وأردفه بكتاب آخر: (أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء...))[٤].

وما كان من أبيّ الضيم إلا رفض ما عرضوه عليه في أول بيانه قبل خروجه من المدينة: (... ومثلي لا يبايع مثله...).

ومع رفض الإمام الحسين عليه السلام للتسليم، بدأ رماة الجيش الأموي يمطرون الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بوابل من السهام، وأصيب الكثير من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ثم اشتد القتال ودارت رحى الحرب وغطى الغبار أرجاء الميدان واستمر القتال ساعة من النهار، ولما انجلت الغبرة كان هناك خمسون صريعًا من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، واستمرت رحى الحرب تدور في ميدان كربلاء وأصحاب الحسين عليه السلام يتساقطون الواحد تلو الآخر، واستمر الهجوم والزحف نحو من بقي مع الحسين عليه السلام، وأحاطوا بهم من جهات متعددة وتم حرق الخيام فراح من بقي من أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام ينازلون جيش عمر بن سعد ويتساقطون الواحد تلو الآخر: ولده علي الأكبر عليه السلام، أخوته،

عبد الله، عثمان، جعفر، محمد، أبناء أخيه الحسن أبو بكر القاسم، الحسن المثنى، ابن أخته زينب، عون بن عبد الله بن جعفر الطيار، آل عقيل: عبد الله بن مسلم، عبد الرحمن بن عقيل، جعفر بن عقيل، محمد بن مسلم بن عقيل، عبد الله بن عقيل..

بدأت اللحظات الأخيرة من المعركة عندما ركب الإمام الحسين عليه السلام جواده يتقدمه أخوه العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام حامل اللواء، ولكن العباس وقع صريعًا ولم يبقَ في الميدان سوى الامام الحسين عليه السلام الذي أصيب بسهم فاستقر السهم في نحره، وراحت ضربات الرماح والسيوف تمطر جسد الحسين عليه السلام وحسب رواية مؤكدة فإن شمر بن ذي جوشن قام بذبح الإمام الحسين عليه السلام وفصل رأسه عن جسده، وكان ذلك في يوم الجمعة من عاشوراء في المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة وله من العمر ٥٦ سنة. ولم ينج من القتل إلا الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، فحفظ نسل أبيه من بعده.

وكانت نتيجة المعركة ومقتل الحسين عليه السلام على هذا النحو مأساة مروعة أدمت قلوب المسلمين وهزت مشاعرهم في كل مكان، وحركت عواطفهم نحو آل البيت عليهم السلام، وكانت سببًا في قيام ثورات عديدة ضد الأمويين.

## تحليل:

هناك عامل رئيسي لما حصل في كربلاء، وهو خذلان الناس للحسين عليه السلام وقلة الناصر والمعين. لو كان مع الحسين عليه السلام أنصار وأعوان وجنود حاضرون للشهادة بين يديه، لما قُتِل، لما ذُبح طفله الرضيع، ولما سُبيت نساؤه وأخواته وبناته، ولما أُحرقت خيامه. ولو كان للحسين عليه السلام أعوان وأنصار هل هناك شيء ما يقال؟! هذه كل القصة. مشكلة الناس مع الحسين لم تكن نقص الوعي السياسي ولا مشكلة خبرة أبداً. مشكلة الناس مع الحسين حتى الذين قاتلوه وقتلوه وحاربوه وحاصروه كانوا يعرفون من هو، وكانوا يخيرون أنفسهم بين الجنة والنار، واحد اثنان ثلاثة، أعداد قليلة جداً اختارت الجنة على النار، كالحرّ بن يزيد الرياحي فلحق بالإمام الحسين بن علي عليهما السلام، واستشهد بين يديه، وكثيرون آثروا دنياهم على الحسين عليه السلام. لماذا تركوه؟ هذا خاف على بيته، وذا خاف على ابنه من القتل إذا لحق بالحسين عليه السلام، وذاك خاف على أمواله، وذلك خاف على وجاهته، وغيرهم خاف على منصبه، هناك أناس خافوا، وهناك أناس طمعوا بزينة هذه الدنيا، مناصب وجاه ومال وذهب وفضة والدرهم والدينار الذي وعدهم به عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية، هذا هو العامل الأساسي، المسألة الرئيسية التي أدت إلى أحداث كربلاء أن مجموعة قليلة من الناس زهدت في هذه الدنيا فنصرت الحسين عليه السلام، وأن مجموعة كبيرة وهائلة من الناس أحبَّت الدنيا ولم تزهد بها وتعلَّقت بها فقتلت الحسين عليه السلام فخسرت الدنيا وخسرت الآخرة ■

**الهوامش:**

(١) **كامل الزيارات، بن قولويه القمي، ص١١٦.**
(٢) **لواعج الاشجان، محسن الأمين، ص٢٥.**
(٣) **بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤ ص٢٢٩.**
(٤) **إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٥١.**

# الإمام الحسين عليه السلام وثقافة العصر

أ. م. د. حيدر كريم الجمالي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

لقد جاء الإسلام بمناهج تربوية فاقت ما موجود من أخلاقيات تربوية على مر العصور لحضارات أشادت بنيانها على البسيطة- كانت ومازالت - مما أكسب الأمة الإسلامية دورًا كبيرًا في مسؤولياتها الجديدة، التي يفرضها الإسلام أمام المجتمع كأخلاقيات فضفاضة.

فقوانين الإسلام الأخلاقية تعطي للأمة مسؤولية الدفاع ضد الانحراف الحاصل في السلوكيات العامة، والأفراد كلهم أمامها مسؤولون سواء كانوا أفرادًا أم حكامًا، إن الإسلام قد أعطى النصح (الدين النصيحة)، (فأمحض أخاك النصيحة)، ووجود البديل عن هذا المنكر الذي يواجه الأمة قاطبة (من رأى منكم منكرًا فلينكره بيده، فمن لم يستطع فلينكره بلسانه، فمن لم يستطع فلينكره بقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[1]. وهذا بالتالي يؤول إلى أن العَالِم يتحمل المسؤولية كما يتحملها غيره من أفراد المجتمع، ولكن عليه تقع جل المسؤولية فالعمل ترابطي لا فردي، والمجتمع يقوم جميعًا بدل أن يقوم شخص واحد (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)[2].

ولكن بعد أن التحق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بركاب السائرين إلى الآخرة، بدأت نوازع في الأمة تدعوها إلى التفكك من رابطة الوحدة التي دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وجاهد سنين من عمره لأجل إقرارها، وأخذت عصبة من الأمة تسوغ لنفسها الحكم مبتعدة عن أهل البيت عليهم السلام الذين أوصى الله وأوصى رسوله فيهم ونزل فيهم قرآن

كثير، فضلاً عن أنهما والقرآن لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول اللهﷺ، فانقلبت الأمة على عقبيها، وأخذت تدخل لها ثقافات جديدة تدعم مسيرتها في التفرق، ونبذ جميع المسلمين ولاسيما في الأمة التي أخرجت للناس.

وكان هذا دافعًا إلى تفرق الجمع، وكانت القوى المحيطة بالسلام تدعم هذه الثقافات الهجينة، وأقصد فيها الثالوث الديني الذي كان بنو أمية يستعينون به في معالجة شؤون الدولة الإسلامية بما يحمله من إسقاطات ثقافية جائرة، وكان همه إسقاط الإسلام وشيوع الانحراف فيه، وكان لهم ما أرادوه.

يلحظ أن الأمة تعاملت ببرود مع هذا الحدث الجلل، وهذا لا يتناسب مع قدراتها الذاتية، لكن قطاعًا صغيرًا التزم بأهل التوحيد، الذين يمثلون قبس النور الذي يهدي في ظلمات الطريق، ورفض كل الدعوات القائمة آنذاك، والتي تمثل الفكر المنحرف عن المسيرة الإسلامية.

إن الثقافات الداخلة على الأمة الإسلامية قد تأطرت بصور الأفكار السائدة في أن الحق إلى جانب معاوية وأبنائه، فقد قال: قاضيهم (إن الحسين خارجي) - هذا نصهم هم- إذن هذه صورة من الصور التي وصل إليها الحكم آنذاك، والتزم أقطاب الأمة أمام ما يجري من أحداث مشينة في حق الإسلام تمثلت في خلق سياسة معادية لأهل البيتﷺ تحمل في أفكاره كثيرًا من النصوص والروايات الكاذبة من

أجل إبعاد القيادة الحقة عن جادتها.

وهنا نجد دور الإمام الحسين عليه السلام بارزا واضحا للعيان يستمع إلى أبيه عليه السلام أواخر أيامه وهو يقول: (ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة)[٣].

وبالفعل صار ما قال، فقد دأب بنو أمية على إحداث هذه الفتنة بحرف المسيرة عن أهل البيت عليهم السلام بشتى الوسائل والطرق فيها، منها: وضع مئات الأحاديث الباطلة الكاذبة المغرية، لأجل رفع بني أمية وتأييدهم، وكذلك الروايات التي تضعف مكانة أهل البيت عليهم السلام وتمنع أخذ الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحقهم ومنع فضائلهم ، فبهذه السياسة التي كانوا يرجون بها أن ينزلوهم منزلاً بعيدًا عن حقهم، ولكن هيهات فارادة الله أقوى من كيدهم.

سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي – النحوي البصري - عن سرّ المكانة التي وصل إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: (ما أقول في حق امرء كتمت مناقبه أولياؤه خوفًا، وأعداؤه حسدًا، ثم ظهر من بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟)[٤].

فقد وصلت الأمور وما يحدث في أركان الدولة الإسلامية إلى الإمام الحسين عليه السلام بعد معاناة مريرة، والكلام طويل، والإمام الحسين عليه السلام وهو المعصوم فكان لابد أن يكون له أثر في توجيه الانحراف السائد آنذاك. وقد أشار عليه السلام إلى هذا الانحراف الفكري الثقافي الخطير فقال: (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرم الله ناكثًا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري)[٥].

فالإمام عليه السلام يصرح بدوره الشرعي والمسؤوليات الجسام الملقاة على عاتقه حفظًا على استقرار الإسلام وبيضته بين الأمم الأخرى. لذا قرر عليه السلام التصدي لهؤلاء الطغاة المردة، وإحداث هزة عنيفة في الأمة، يكون من خلالها رجوع الأمة إلى جادة الصواب.

إن الإصلاح الفكري في الأمة في ذلك الزمن ما كان ليتم من خلال المواعظ والإرشاد وبالجانب السلمي، لأن حجم الانحراف الفكري والثقافي كان كبيرًا جدًا يتعدى حد التخيل، والوضع الفاسد كان لابد لاقتلاعه من ثورة ذات تغيير جذري، لأن الأمة فقدت إرادتها التي نصها لها القران ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ فهي بحاجة إلى إعادة ترتيب لأجل إيقاظها من غفلتها الطويلة، فهي بحاجة إلى هزة عنيفة تكون أشبه بالزلزلة الفكرية التي تهز مشاعرها من الأعماق؛ لتدك بها أركان غيبوبتها لترجعها إلى طموحاتها البناءة والرسالية.

من هنا اختار الإمام الحسين عليه السلام طريق الشهادة. طريق الثورة؛ ولهذا وقف الإمام الحسين عليه السلام قويًا أمام مزاعم من شكك بقضيته العادلة فقال لأخيه محمد ابن الحنفية (يا أخي والله لو لم يكن ملجأ، ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية)[٦]، لذلك قيل (إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي التي حفظت الإسلام لنا حتى اليوم).

فالإصلاح هو حدث رئيسي من أحداث الإسلام، والمجتمعات البشرية بحاجة ماسة إليه، ولاسيما الفكري ومحاربة أنواع الغطرسة والإرهاب الفكرية والتطرف العقائدي جميعًا، والجهل الذي بدأ يغزو مجتمعاتنا الإسلامية، ولابد من إشاعة روح القيم والمثل العليا التي ناضل الإسلام من أجلها.

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تعطينا صورًا ناصعة الإشراق عن أخلاقيات الإسلام العالية ، فرسالة الإصلاح الفكرية والثقافية والتربوية الشمولية التي من أجلها سعى الإمام الحسين عليه السلام، ونهض وقدم أهله ونفسه وأصحابه فداء من أجلها، هي الإصلاح الشامل في الأمة آنذاك،و هذه المقولة للإمام الحسين عليه السلام تشير إلى ملامح خطيرة في ثورته ضد فكر الطغيان السائد آنذاك. فلنستمع إليه وهو يحدد منهج ثورته وخروجه المشرق، والهدف الذي يبغي من أجله (وإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)[٧].

فهو هنا في أسلوبه الرائع وتكثيف عبارته استطاع أن يحملها مبادئ ثورته الإصلاحية من خلال الإصلاح الشامل المرجو بعيدًا عن المنافع الشخصية لمفاصل الأمة المتهالكة، إذ ضحى عليه السلام بنفسه وأهله وعياله وصحبه من أجل محو الثقافة القائمة على الفساد بكل أنواعه في ذلك العصر.

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وليدة كل عصر وليس عصرًا واحدًا، فكل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء. إننا بحاجة ماسة إلى العقيدة الحقة في ترجمة هذا الواقع والفكر الثقافي والسياسي والاقتصادي والمجتمع والإعلام، وعلى وفق نظرة الإسلام السمح المعاصر، فلتكن كلمات ثورة كربلاء وأهدافها ومقرراتها أمام أعيننا، ونحن في درب الخير لكي نقول بحق: إننا سرنا على نهج الحسين عليه السلام.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام ■

**الهوامش:**

(١) منتهى المطلب، العلامة الحلي ج٦ ص٥٠.
(٢) الوافي، الفيض الكاشاني ج٥ ص٥٢٥.
(٣) نهج البلاغة، ج١ ص ١٨٢.
(٤) الأعلام من الصحابة والتابعين، ج ١ ص١٢٣.
(٥)الكامل في التاريخ، ابن الأثير ج٤ص٤٨.
(٦)بحار الأنوار، ألمجلسي ج٤٤ ص٢٢٩.
(٧) نفس المصدر.

# زينب عليها السلام.. سفيرة النهضة


**محمد علي جعفر حسين** •
كاتب وباحث/ بغداد


**ينابيع** إن المطّلع على التاريخ الإسلامي منذ بدء نشوئه بعد الدعوة الإسلامية ونجاحها وقيام أول دولة إسلامية على يدي الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وما تبع ذلك بعد وفاته وحتى قيام الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة، يرى أن مشاركة المرأة في الدعوة والجهاد تعد مشاركة متواضعة وبسيطة ما عدا المشاركة العظيمة والفعالة في مساهمة السيدة خديجة عليها السلام في دعم وإسناد الرسالة والرسول الكريم صلى الله عليه وآله بمالها، والذي كان له الأثر الكبير في دعم الرسالة وإسنادها وإنجاحها أيضاً. حيث يصرح بذلك الرسول صلى الله عليه وآله: (ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام) (شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري)، وبناء عليه نرى أن السيدة زينب عليها السلام بموقفها من واقعة الطف وما بعدها تعد الرائدة في هذا المجال، خصوصاً بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأخذها لدورها الكامل بإكمال الصفحة الثانية، أو البدء بها في نهضة الإمام الحسين عليه السلام بعد أن ضحى بدمه الطاهر هو ومن معه معلناً نهاية الصفحة أو المرحلة الأولى من المعركة وليس نهاية المعركة كما كان يظن وكما كان معروفاً ومشهوراً في المعارك التي سبقت معركة كربلاء المقدسة وهي عندما تحط الحرب أوزارها. ينتهي كل شيء وتعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل وقوع تلك المعركة.

## الأهداف:

لقد رسم الإمام الحسين عليه السلام لنهضته الخالدة مساراً واضحاً من البداية حين خروجه من داره في المدينة، ولم ينتهِ هذا

المخطط في كربلاء بعد استشهاده، والذي كان عليماً كما كان به عارفاً بمصيره بل إن المسار كان سيستمر والأهداف ـ وإن تأخر قطاف ثمارها ـ، فإنها سوف تتحقق على يدي من يأتي بعده من غير أي تأخير فإن الدم سيكون النهاية والبداية وذلك باستلام السيدة زينب عليها السلام زمام المرحلة القادمة.

بدأت السيدة زينب عليها السلام بلملمة جراحها وآلامها بصبر وجَلَد لا نظير لهما، حيث فقدت ثلة من الأهل والأخوة ثم ثكل المصاب باستشهاد الحسين عليه السلام، ذلك الصبر والجلد ورباطة الجأش التي لم يسبق أن اتصفت بها امرأة أو تصدرت لها في الماضي، بل يصعب حتى على الرجال ذلك لأن المصاب كبير وخسارة الأهل فادحة.

ما إن بدأ المسير بركب السبايا من كربلاء إلى الكوفة، وهو المحطة الأولى حتى بدأت السيدة زينب عليها السلام بفضح الطغمة الأموية الفاسدة، وكذلك أصابع النار التي قتل بها يزيد اللعين الإمام الحسين عليه السلام عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وجنودهما لعنهم الله وأخزاهم، حيث تحدثت السيدة الجريحة المكلومة إلى الناس (أهل الكوفة) وذكرتهم إلى ما وصلوا إليه من خلافهم للوعود التي قطعوها للإمام الحسين عليه السلام

من خلال رسائلهم الكثيرة لـه عليه السلام أن أقـدم علينـا، تجدنـا جنـوداً مجنّدة من أجل حـرب يزيد والقضاء على الحكم الأموي الفاسد.

وهـي حديثـة عهـد بفـراق الكوفيين، فأبوهـا الإمام علي عليه السلام كان قبل وقت قصيـر خليفتهم وقائدهم، رأوا فيـه الصـدق والعدالة التي لـم يروها في خليفة سـابق أو لاحق، وبعـد رحيل أمير المؤمنين عليه السلام إلـى الرفيق الأعلى بعد قتله غدراً بسـيف المرادي. وكيف أنهم خذلوا الحسـين عليه السلام بمجرد أن جاء سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام وكيف أنهـم تحولوا من أتباع إلى أعداء يطاردون مسـلمًا من زقاق إلى زقاق ومن دار إلى دار ليسلموه بيد الطغمة الفاسدة الحاكمة.

وهكـذا فضحت زينب عليها السلام أهل الكوفة من الذين خذلوا الحسـين عليه السلام والذين كان من المفروض أن يكونوا أقرب الناس إلى أهل البيت عليهم السلام للأسـباب التـي ذكرناها وإذا بهـم هم الغـادرون وهـم الجاهلون وهم الذين ردّوا ما أحسن به عليهم الإمام علـي عليه السلام بـأن غـدروا بابنـه الإمـام الحسـين عليه السلام فـأي وضـع بلغـوه وأي فسـاد وصلـوا إليـه وأي ديـن بقـي لهم وهـم السـاكتون والخائنـون عـن نصرة الحسين عليه السلام؟ وتداعيهم وتسابقهم للوقوف في معسـكر الطغاة والفاسقين حتى وصل الجهل والسـفه والكفر ببعضهم بأن يرموا السهام على معسـكر الحسين عليه السلام ويطلبوا الشـهادة لدى أميرهم بأنهم أول من رمى الحسين عليه السلام بالسهام، أو أن يحمل بعضهم ممثلاً لنفسـه أو عشيرته رأساً من رؤوس الآل والأصحـاب ليتقـرب بهـا إلى يزيد (لعنه الله).

فأيـن وصل حب الدنيا بهـؤلاء.. وأين وصايا الرسـول صلى الله عليه وآله بمودة العترة من أهل بيته عليهم السلام وحب الناس لهم؟.

## القطاف:

حيـن توجه جيش الطاغيـة يزيد (لعنه الله) نحـو الشـام يحـدو بركب النسـاء الثكالى والأيتام مـن الأطفال والإمام زين العابديـن عليه السلام وكذلـك السـيدة زينب عليها السلام وكذلك الرؤوس، مـن بلد إلى بلد، بدأت السيدة زينب عليها السلام مرحلة جديدة من كشف زيـف السـلطة الغاشـمة المتمثلـة بيزيد وأتباعـه (لعنهـم الله) عبـر طريـق طويل شـاق وصعب، وكذلك الكشف عن جريمة تخلّف الأمة عن نصرة الإمام الحسـين عليه السلام وإشـعارهم بالذنب، الشـعور الذي فجّر في ما بعـد الثورات العديـدة الآخذة بثأر الحسين عليه السلام كثورة التوابين وثورة المختار وثورة زيد الشـهيد وغيرهـا، والتي كانت لزينب عليها السلام الفضل في خلق الشرارة الأولى (الإحساس بالذنب).

حيـث إن جريمة التخلّـف عن النصرة ما هـو إلا تحصيل حاصل ممـا ابتليت به الأمة من فسـاد وجهل وانحـراف، كانت نتيجتـه أن يضحـي الإمـام الحسـين عليه السلام بدمه الشـريف كي تصحو هـذه الأمة من غفلتها وسـباتها لكي تعيد وضـع أقدامها من جديد على الطريق الذي خطه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والذي ابتعـد عنه من جاء بعده من الحـكام الذين انحرفوا بالدين ومنهجه القويم وعادوا به إلى الجاهلية الأولى حتى وصـل إلى ما وصـل إليه في زمـن الإمام الحسين عليه السلام.

وحين وصل الركـب العلوي أخيراً إلى

الشام استمرت السيدة زينب عليها السلام بالتعريف بالثورة وأهدافها وكذلك بالأسرى من سبايا أهل البيت عليهم السلام حيث إن الإعلام الأموي الضال والمضلِّل، قد أوهم الشاميين بأن الثائرين كانوا من الخوارج ولا علاقة لهم بالإسلام. وبهذا فضحت هذه الكذبة الكبيرة وانقلب السحر على الساحر واستطاعت تعبئة أهل الشام وإسقاط شرعية يزيد المفتلعة وغير الشرعية أصلاً.

حينها حان وقت القطاف، فوقفت في قصر يزيد وخطبت خطبة رائعة لا مجال لذكرها في هذه السطور.

وبهذه الخطبة أسقطت يزيد بشر أعماله وفضحته أيما فضيحة، وكشفت كل أركان كيانه الفاسد والممتد عبر السلسلة السوداء التي أوصلته إلى السلطة وهو المعاقر للخمر اللاعب بالكلاب والقردة المملوء قصره بالراقصات والمغنيات.

لقد كانت السيدة زينب سفيرة فوق العادة (إن صح التعبير)، استطاعت أن تحمل النهضة الحسينية وتوصلها إلى شوطها الأخير حسب ما كان مخططًا لها.. قارعت الظلم والظلمة ووضعت الأمة أمام خيارها الصعب العودة إلى دين محمد صلى الله عليه وآله ولو بالتضحيات الجسام كما فعل أخوها الحسين عليه السلام، وهو استحقاق ما كان ليدفعه الحسين لولا فساد الأمة وتركها لدينها الصحيح واللهاث وراء الدينار والدرهم ■

> «لقد كان أبو الشهداء أعجوبة الدنيا والمثل الأعلى لأحرار العالم ونوابغ الفكر، فليس في هذه الدنيا قديماً وحديثاً كأبي الأحرار في صموده وتضحيته وفدائه وجمع اتجاهاته».
>
> **المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي**

# الأحاديث الفنية عند العباس بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام

د.عبد الإله العرداوي •
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

**ينابيع**

في كل مرة كنت أقرأ فيها تاريخ أهل البيت عليهم السلام، وسيرة رجالاته، كانت تستوقفني شخصية العباس عليه السلام التي نهلت من ينابيع الإخلاص والإيمان، وتزينت بتاج الشجاعة والشهامة والوفاء والإخلاص، ما عجزت الأقلام عن وصفها، وتحيرت العقول في إدراك كنهها، فكانت سيرته ومواقفه في طف كربلاء، وحياته بأكملها تشدني نحو إعادة القراءة مرة بعد أخرى إلى ما لا نهاية له لسيرة قمر بني هاشم عليه السلام، ومحاولة سبر أغواره، وكيف بدأت حياته؟ والمصير الذي آل إليه، وهو مؤمن بقيمه التي آمن بها، وعلى رأسها إيمانه بإمامة أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأحقيته وأفضليته.فلم يتراجع العباس عليه السلام عن الإيمان بقيمه، ولم يهن، بل أعطى وقدم كل ما يستطيع من تضحيات، ويكفيه فخراً أنه كان كبش كتيبة الإمام الحسين عليه السلام ومجمع عدده، وهو في كل ذلك رسم لنا صورة مشرقة تجسّد جميع القيم الإنسانية والإسلامية.

وأمام هذه القيم، وأمام هذا الكم من المؤلفات التي كتبت عنه عليه السلام أجد نفسي صغيراً جداً لأكتب عن جانب من جوانب حياته المضيئة، لكن حبي لهذه الشخصية العظيمة، وإيماني الكبير بأفعاله ومواقفه، شجعني على تعقب طريق من الطرق التي سلكها في استشرافه نحو الكمال الإنساني، ذلك الطريق هو: أدبه بقسيميه (الشعر والنثر) والذي كشف عن صورة حقيقية لمواقفه المشرفة في وقعة الطف، ومسيرة حياته الوضاءة، فحسبي أولاً بهذا الجهد أن أعتذر لك سيدي قمر

بني هاشم، إن قصّرت، ولم أستطع أن أحيط بكل الأدب، أو فاتني شيء منه، فمثلي لا يغوص في بحر لججك، ولا يصل إلى مرافئك، لكن حبي سيدي وإعجابي بشخصك ومواقفك النبيلة هي التي دفعتني للكتابة عنك، فرحم الله قلماً يكتب عنك، وعن إمامك وأخيك الذي قتلت بين يديه دفاعاً عن القيم الإلهية، ونصرة للحق والعدل.

## الحديث الفني:

أما الحديث الفني فقد كانت لدينا مجموعة لا بأس بها، وهي:

١ـ قصة العباس عليه السلام مع المارد بن صديف التغلبي:

فلما سمع العباس عليه السلام كلامه (المارد) قال له: (ما أراك إلاّ أتيت بجميل، ولا نطقت إلاّ بتفضيل، غير أني أرى جعلك في مناخ تذروه الرياح، أو في الصخر الأطمس، لا تقبله الأنفس، وكلامك كالسراب يلوح، وإذا قصد صار أرضاً بواراً والذي أصلته إن استسلم إليك، فذاك بعيد الوصول صعب الحصول، وأنا يا عدو الله وعدو رسوله، فمعَود للقاء الأبطال، والصبر على البلاء في النزال، ومكافحة الفرسان وبالله المستعان، فمن كملت هذه الأوصاف فيه فلا يخاف ممن برز إليه، ويلك، أليس لي اتصال برسول الله ؟ وأنا غصن متصل بشجرته، وتحفة من نور جوهره، ومن كان من هذه الشجرة فلا يدخل تحت الذمام، ويخاف من ضرب الحسام، فأنا ابن علي لا أعجز عن مبارزة الأقران، وما أشركت بالله لمحة بصر، ولا خالفت رسول الله فيما أمر، وأنا منه

كالورقة من الشجرة، وعلى الأصول تثبت الفروع، فاصرف عنك ما أملته، فما أنا ممن يأسى على الحياة، ولا يجزع من الوفاة، فخذ في الجد واصرف عنك الهزل، فكم من صغير خير من شيخ كبير عند الله تعالى.

فشرع العباس عليه السلام الرمح للمارد فصاح به: (يا عدو الله إنني أرجو من الله تعالى أن أقتلك برمحك).

وقوله عليه السلام للمارد بعد أن طلب منه الرفق: (ويلك، أبمثلي يلقى إليه الخدع والمحال؟ ما أصنع بأسير وقد قرب المسير)[1].

٢- دعا الإمام علي عليه السلام العباس عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره، وقال له: (قل: واحد، فقال: واحد، فقال قل: اثنان قال: استحي أن أقول باللسان الذي قلت واحد اثنان)[2].

٣- قال العباس عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام وبه رمق: (بحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله دعني في مكاني هذا، فإني مستح من ابنتك سكينة، وقد وعدتها بالماء ولم آتها به، والثاني: أنا كبش كتيبتك، ومجمع عددك، فإن رآني أصحابك وأنا مقتول فلربما يقلّ عزمهم، ويذلّ صبرهم)[3].

٤- عرض الأمان على أولاد أم البنين ورفضهم الشديد لذلك:

قال العباس عليه السلام للشمر: (لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له)[4].

وفي رواية أخرى: فناداه العباس عليه السلام: (تبت يداك وبئس ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله، أتأمرنا ان نترك أخانا وسيدنا الحسين عليه السلام، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء)[5].

٥- قال العباس عليه السلام لعمر بن سعد وأصحابه: (يا قوم أأنتم كفرة أم مسلمون؟ هل يجوز في مذهبكم، أو في دينكم أن تمنعوا الحسين عليه السلام وعياله شرب الماء والكلاب والخنازير يشربون منه، والحسين عليه السلام مع أطفاله وأهل بيته عليهم السلام يموتون عطشاً أما تذكرون عطش يوم القيامة)[6].

٦- الشمر يقبل على خيم الإمام الحسين عليه السلام:

قال العباس عليه السلام له: (يا ابن الضبابي، أبالموت تخوفني؟ وأنا الموت المميت، أترك من خُلقت لنصرته، وأدخل في طاعة اللعناء، لكن يا شمر اقبل نصيحتي: اترك هؤلاء القوم اللئام، وانصر ابن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت سيد الأنام صلى الله عليه وآله تنال شرف الدنيا والآخرة)[7].

٧- أخذ الإمام الحسين عليه السلام رأس العباس عليه السلام ووضعه في حجره، وجعل يمسح الدم عن عينه فرآه وهو يبكي، فقال الإمام الحسين عليه السلام: (ما يبكيك يا أبا الفضل؟ قال: يا أخي يانور عيني، وكيف أبكي ومثلك الآن جئتني، وأخذت رأسي عن التراب فبعد ساعة من يرفع رأسك عن التراب؟ ويمسح التراب عن وجهك)[8].

٨- قال العباس عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام: (يا أخي هل لي من رخصة؟) ثم قال عليه السلام: (قد ضاق صدري، وسئمت من الحياة، وأريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين)

٩- زهير بن القين يثير حمية العباس عليه السلام بذكر حديث أبيه علي أبي طالب عليه السلام قال

العباس عليه السلام لزهير وهو غاضب: (أتشجعني يا زهير في مثل هذا اليوم؟ والله لأرينك شيئاً ما رأيته)[٩].

١٠- قال العباس عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام: (معاذ الله، بل نحيا بحياتك، ونموت معك)[١٠].

## الجوانب الفنية للحديث الفني

### الحديث الفني: لغة واصطلاحاً:

لم تشتمل المعاجم اللغوية (كتاب العين، لسان العرب، والقاموس المحيط، والصحاح) على المعنى اللغوي لهذا النوع الأدبي، بصيغته المركبة (الحديث الفني) لحداثة تسمية هذا النوع[١١].

والحديث كل ما يتحدث به الإنسان أو يقوله[١٢] وقد تحولت المفردة (الحديث) إلى مصطلح ولذلك قيل إن (مصطلح الحديث دائر بين البلاغيين والنقاد)[١٣] وقد أفرد له ابن وهب الكاتب في أحد كتبه مبتدئاً بتعريفه: (وأما الحديث فهو ما يجري بين الناس في مخاطباتهم ومجالسهم، وأما وجوهه: فمنها الجد والهزل، والسخيف والجزل، والحسن والقبيح والملحون والفصيح، والخطأ أو الصواب)

ومعلوم أن الحديث الذي لا يتوفر على عناصر فنية معينة، غالباً ما يعتمد في بيان حقيقة أو مسألة أو مفهوم ما، أي إن اللغة التي يتحدثها المتحدث في حديثه هي لغة تقريرية إخبارية، بعيدة عن الخيال والتصوير، كما هو حال اللغة العلمية الجافة التي هي لغة العلوم والمعارف ولغة الأحاديث الفقهية، ولاسيما التي تتناول معاملات المسلم وعباداته كما هو في معظم أحاديث الناس وغير ذلك[١٤].

بيد أن الحديث - الذي نحن بصدده - لا يعتمد المباشرة أو التقريرية في صياغته، لأنه عموماً يتطلب نوعاً من التأمل، فهو يحمل قدراً من الضبابية الشفافة، أو ما يسمى بالغموض الفني في الأدب (الذي يؤدي ما يعرف بتعدد القراءات للنص الواحد فوجوده وجود مؤثر وغني وفاعل)[١٥] فضلاً عن أن إشراك المتلقي في كشف دلالة الأحاديث التي تحمل تلك الصفة، ويحقق له جسرًا من التوصيل ومزيداً من الإمتاعين الدلالي والجمالي[١٦] وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نقرر بوضوح أن الحديث الفني هو: (الحديث المختصر الذي يقدم في مناسبات مختلفة، ويكتفي فيه أحيانا بعدد قليل من المستمعين، ويوظف فيه سمات فنية، وأدوات جمالية لتعميق دلالة المراد توصيله إلى المتلقي)[١٧] وهو: توصيات عامة قصيرة، وترد ضمن نوع أدبي معين، وتوشح عادة، بعنصر الصورة أو بعنصر الإيقاع أو بكليهما معاً[١٨].

وقد اهتم العباس عليه السلام بهذا النوع الذي تكفل ببيان عدد كبير من الظواهر العبادية والإنسانية والسياسية من خلال العبارات القصيرة الدالة والقادرة على النفاذ إلى ذهن المتلقي الحديث الفني واللغة والأسلوب.

### الاستفهام:

ونلحظ وروده في الأحاديث الفنية كما في قوله عليه السلام: (أليس لي اتصال برسول الله) فالاستفهام الوارد هنا لا يحتاج إلى جواب، لأنه يقرر فكرة ويحمل المخاطب على الاعتراف بها، وبمعنى آخر: ان

جواب السؤال ثابت في المنظومة المعرفية للطرفين، فجواب السؤال غير منكر لكلا الطرفين، ومن ثم فلا استجلاب للفهم فيه وليس فيه محاولة لملء الفراغ المعرفي الذي يسعى الاستفهام إليه في حقيقته.

وقد يخرج الاستفهام حاملاً أغراضاً مجازية كثيرة، كالتوبيخ في قوله عليه السلام: (أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له) ونظيره قوله عليه السلام: (أتأمرنا أن نترك أخانا) أو يخرج إلى معنى التحقير والحط من شأن المخاطب، كما في قوله عليه السلام (يا قوم أأنتم كفرة أم مسلمون) أو يخرج لمعنى التعجب كما في قوله عليه السلام: (وكيف لا أبكي) وكذلك قوله عليه السلام: (أبالموت تخوفني) فالاستفهامات الواردة في هذه الخطابات أفادت معنى التعجب الذي يعني (تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله) أو يأتي الاستفهام حاملاً معنى التحسير والألم لفقدان الأحبة، كقوله عليه السلام وهو يخاطب الإمام الحسين عليه السلام: (من يرفع رأسك عن التراب) وقوله عليه السلام: (ومن يمسح التراب عن وجهك).

## النداء:

من الأساليب التي استعملها العباس عليه السلام في أحاديثه الفنية، وأغلبها ـ أسلوب النداء ـ قد خرج إلى معان حقيقية، إذ كان المقصد منه لفت نظر المنادى وتنبيهه على الأمر الذي يلي النداء من خبر أو أمر أو نهي أو استفهام، كقوله عليه السلام: (أتشجعني يا زهير على مثل هذا اليوم) وقوله عليه السلام: (وأنا يا عدو الله وعدو رسوله فمعّود للقاء الأبطال) وقوله عليه السلام: (ولكن يا شمر اقبل أنت نصيحتي) أو يفيد معنى التحسر والألم في قوله عليه السلام :(يا أخي يا نور عيني وكيف لا أبكي).

## الأمر:

وقد ورد في نماذج كثيرة، أغلبها خرج فيها إلى معان مجازية إلى معنى النصح والإرشاد، وذلك في قوله عليه السلام وهو يخاطب الشمر: (اقبل نصيحتي، اترك هؤلاء القوم اللئام، وانصر ابن فاطمة) فالأوامر (اقبل، اترك، انصر) وقد وردت بصيغة الأمر وهي تحمل هذه الدلالة المجازية ـ النصح والإرشاد ـ.

## النفي:

وفيه يتوسل بأدوات متعددة لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، ومنها (لا) التي تفيد نفي الحاضر نفياً عاماً في قوله عليه السلام (وكيف لا أبكي ومثلك الآن جئتني) أو تفيد نفي الحاضر والمستقبل في قوله عليه السلام: (فلا يخاف ممن يبرز إليه) وقوله عليه السلام (ولا يخاف من ضرب الحسام) وقوله عليه السلام: (لا أعجز عن مبارزة الإقران) أو يفيد النفي بها الاستمرارية في الزمن، أي نفي الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك في قوله عليه السلام: (ولا خالفت رسول الله فيما أمر) فهو عليه السلام لم يخالف أوامر الرسول صلى الله عليه وآله في جميع الأزمنة.

أو يكون النفي بها للجنس، كما في قوله عليه السلام: (وابن رسول الله لا أمان له) ومن

أدوات النفي (ما) التي وردت في قوله عليه السلام: (وما أشركت بالله لمحة بصر) وقوله عليه السلام: (فما أنا ممن يأسى على الحياة).

وهناك أساليب كثيرة لا يسع المقام لذكرها وردت في كلام أبي الفضل العباس عليه السلام منها (النهي)، (الشرط)، (التوكيد)، (السجع) (الجناس)، (الطباق)، (التكرار). لعلنا نعرض لها بالتفصيل في وقت آخر.

## الصورة الفنية والحديث الفني:

استثمر العباس عليه السلام الصورة الفنية في أحاديثه الفنية، وبوصفها أداة حيوية مهمة في بناء الصورة، كالصورة التشبيهية أوالصور الاستعارية أو صور الكناية أو الصور الحسية، فنلحظ الصور البصرية بعناصرها أفعال الرؤية والحركة واللون والأشكال والحجوم، فهذه الصورة استندت على مدرك بصري قوامه فعل الرؤية . أما الصورة السمعية، فنراه عليه السلام يستعملها بجانب الصورة البصرية، فهو يتصور الأصوات وفعلها في النفس بما توحيه من دلالات، ولاسيما تلك الصور السمعية في مواقف القتال.

وصفوة القول فيما سبق، ان الصور البيانية والصور الحسية استطاعت ان تسبغ على صور العباس عليه السلام طعماً دلالياً وفنياً يفضي إلى شاعرية خصبة ارتكزت على معطيات فكرية ودينية وروحية وإيمانية عميقة.

وفي الختام نقول:

سعى العباس عليه السلام إلى استثمار قدرة الأساليب الإيحائية والإبداعية كالتقديم والتأخير والنداء والأمر والنهي والشرط والنفي والتوكيد ، فكانت تعبيرًا عن واقعة النفس فضلا عن إعطاء شحنات مضاعفة من المد اللغوي كتوصيل معانيه إلى المتلقي والتأثير فيه ■

الهوامش

(١) نور العين: ٣٩، إسرار الشهادة: ٤٩٩/٢-٥٠٢ باختلاف يسير.

(٢) مستدرك الوسائل :٢١٥/١٥، ومقتل الحسين (الخوارزمي): ١٧٩/١.

(٣) أسرار الشهادة: ٥٠٤/٢ نقلاً عن معالي السبطين: ٤٤٢/١-٤٤٣.

(٤) تاريخ الطبري: ٤١٦/٣، والكامل: ٨٤/٣، وأعلام الورى بإعلام الهدى.

(٥) نفس المهموم: ٢٠٢، ومنتخب التواريخ: ٢٥٨، اللهوف:٣٧.

(٦) معالي السبطين: ٤٣٩/١ نقلاً عن منتخب التواريخ.

(٧) المجالس الحلبية: ١١٥.

(٨) التخريج/معالي السبطين: ٤٤٣/١.

(٩) أسرار الشهادة :٣٩٥/٢-٣٩٦، والكبريت الأحمر: ٣٠٣/٢-٣٠٤، ومعالي السبطين: ٤٢٩/١.

(١٠) مقاتل الطالبين: ١١٢.

(١١) أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣.

(١٢) ينظر: لسان العرب: ١٣٣/٢ (مادة حدث).

(١٣) النثر الصوفي عند أبي حيان التوحيدي: ١٩٣.

(١٤) البرهان في وجوه البيان: ١٤٦.

(١٥) ينظر: أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣.

(١٦) الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي: ٧٤.

(١٧) ينظر : أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣ – ٦٤.

(١٨) ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٢٢.

# ثقافتان مختلفتان

**عماد الديب** •
مستبصر من مصر

مفهوم النصر والهزيمة... بين إسلام آل البيت عليهم السلام وإسلام بني أمية... لكل قوم سُنّة وإمام.. فالشيعة إمامهم الحسين بن علي عليهما السلام ثار على يزيد... وأتباع المدرسة الأخرى (مدرسة الخلفاء) إمامهم عبد الله بن عمر بايع يزيد ورفض الحسين عليه السلام، واختاره علماؤهم سلفًا وتركوا الحسين عليه السلام الذي اختاره شيعة آل البيت عليهم السلام إمامًا.. استجابة لأمر النبي صلى الله عليه وآله.

فهناك ثقافة مختلفة ـ سالت أودية بقدرها ـ منها ما نتحدث عنه الآن وله تأثيره الكبير في سلوك الفرد والمجتمع. فمفهوم النصر والهزيمة مختلف عند الشيعة، فالقرآن يقرر - أن المنطق السائد قبل إرسال الأنبياء عليهم السلام، أن المنتصر هو المتغلب بالقهر والقوة والتسلط وفقًا لشريعة الغاب، وحكم الجاهلية، فلما أرسل الله الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أعلمهم أن الدنيا ليست نهاية المطاف، وأنها شوط قصير جدًا، وأن الآخرة خير وأبقى، وان الفائز هو من فاز في الآخرة، فمن فاز في الآخرة فاز فوزًا عظيمًا، وأن من خسرها خسر خسرانًا مبينًا، بغض النظر عما حدث له في الدنيا، تمكن أم قُتِل، انتصر أم هُزِم.

ومن هنا نجد القرآن يؤكد على أن الانتصار للمبادئ والقيم وليس للسيف والغلبة، فهاهو يتحدث عن أصحاب الأخدود ومؤمن آل فرعون الذين قُتِلوا وأعلى الله ذكرهم، وتحدث عن الذين يُقتلون في سبيل الله وأن لهم الدرجات العُلى، ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وآله: (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر أمره ونهاه فقتله)[1]. فهو لم يغير شيئًا وقُتل إلا أنه فاز لأنه كان في الموقع الصحيح، وهاهو الإمام علي عليه السلام تُشَجُ رأسه فيقول: (فزت ورب الكعبة)... لأنه

يعلم أنه على الحق. وهذا الإمام الحسين عليه السلام يذهب للشهادة وللموت المحقق إلا أنه يعلم أنه الفوز والفتح، (من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح)[٢].

وها هو عمار بن ياسر تلميذ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يهددوه بالقتل لاتّباعه الإمام علياً عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، تنفيذًا لوصيته صلى الله عليه وآله فيقول: (والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى بلغنا سعفات هجر لعرفت إنا على الحق وإنهم على الباطل)[٣].

فلا ينظر لمن ينتصر في الدنيا ولكنه ينظر لمن كان على الحق، ومن كان على الباطل لأنه يعلم أن الفائز هو من فاز بالآخرة لا من نال هذه الحياة الفانية بابتعاده عن الخط المستقيم للإسلام المحمدي..

ومن هنا تختلف الثقافتان فيتردد الكثيرون ممن ورثوا ثقافة بني أمية في الخروج على أئمة الجور، وينظرون لمن يقتل على أنه خسر المعركة، ويعترفون بشرعية المتغلب، وهذا ابن عمر رفض بيعة الإمام علي عليه السلام وانتظر حتى تنتهي معركته مع معاوية ثم بايع معاوية، ثم مرة أخرى يرفض الإمام الحسين عليه السلام ونهضته ويبايع يزيدَ، ومنه تأخذ أبناء العامة، وتقرر أنه من خرج علينا بالسيف ثم صار إمامًا للمسلمين كان حقًا على الناس أن تبايعه..

وانظر للمفارقة ففي حال خروجه على ولي الأمر يكون مجرمًا محاربًا لله وللرسول صلى الله عليه وآله يستحق حد الحرابة أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فإن انتصر بالسيف والغلبة تكون له الشرعية ويتحول بين عشية وضحاها إلى ولي الأمر تجب طاعته، ومن هنا كانت ثقافتان مختلفتان تأثر بهما أتباع كل ثقافة ولكل قوم سُنّة وإمام ■

**الهوامش:**

**(١) مستدرك الحاكم النيسابوري، ج٣ ص١٩٥**

**(٢) بحار الأنوار /المجلسي/ج٤٥ص٨٧**

**(٣) جواهر المطالب، الدمشقي الشافعي، ص٤٢.**

# الإمام الحسين بن علي عليهما السلام في سنن الترمذي

السيد أحمد نوري الحكيم •

ينابيع

ليس من الغريب أن الأمة الإسلامية تنجب علماء أفذاذًا يدافعون عن الدين الإسلامي. ويبرزون الحقائق التي حاول أعداء الإسلام طمسها. وممن ينسبون إلى هؤلاء العلماء محمد بن عيسى الترمذي الحافظ، الإمام، البارع[1] والذي أثنى عليه ابن حيان في الثقات حينما قال: كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر[2].

وأشار الذهبي في سيره بما لا مجال له من الإشادة والثناء على كتابه الجامع، حيث قال في (الجامع): علم نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، إذ هو أحد أصول الإسلام، لولا ما كدره بأحاديث واهية، بعضها موضوع وكثير منها في الفضائل، وجامعه قاض له بإمامته وحفظه وفقهه[3].

ومن كل هذا الإطراء على الترمذي يبرز علمه ليظهر فضائل الإمام الحسين بن علي عليه السلام بل هي حقائق لم تخف على الأمة الإسلامية حتى تصدى لها في جامعه ليكون سِفره علامة بارزة في سماء العلم كي لا ينكرها المنكرون ولا يشك فيها الشاكون.

## امتيازات الترمذي:

إن لكتابة الجامع ميزة امتاز بها عن سائر الصحاح والكتب العلمية وذلك حيث لم يقتصر على الأحاديث الصحيحة التي اعتبرها البخاري ومسلم في كتابيهما بحيث يكون غيرها من الأحاديث إما منكرة أو فيها شكوك فهي إلى الضعف أقرب منها إلى القبول. وإنما جمع في دفتي كتابه كثيرًا من الأحاديث ليضع أمام كل مسلم ذكاءه العلمي كي يستنبط الحكم الشرعي ومن دون حاجة إلى حذف الأحاديث التي قد تكون ضعيفة عند قوم وقوية عند قوم آخرين، وهذا دليل على أنه لم يحتكر الأحاديث لنفسه ويعتبرها صحيحة دون غيرها وإنما حاول

أن يطرح الأحاديث على طاولة المناقشة له ولمن يأتي بعده كي يختار الصحيح منها التي لا تخالف الكتاب والعقل فيأخذ بها دون ما إذا خالفت الكتاب والعقل لينكرها ويعتبرها ضعيفة أو غير صحيحة من تعسف أو عناد.

## مع الإمام الحسين عليه السلام في فضائله:

إن الترمذي ذكر للإمام الحسين بن علي عليهما السلام نوعين من الأحاديث، منها ما اشترك فيها الإمام الحسين مع أخيه الحسن بن علي عليهما السلام ومنها ما اختصت به.

أما ما اشترك مع الإمام الحسن عليه السلام فيها فلا حاجة إلى ذكرها لأن الكلام مختص في فضائله عليه السلام.

وأما ما اختص بها فهي عدة أحاديث وهي:

بسند من رزين قال حدثتني سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ـ تعني في المنام ـ على رأسه ولحيته التراب.

فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب[٤].

## استفهام:

لم نعرف وجه الغرابة التي ذكرها الترمذي في هذا الحديث. هل من الرؤيا التي رأتها أم سلمة لأنها زوجة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله دون سائر زوجاته أم أن الرؤيا لا محل لها في أفكار العلماء؟

## دفاعاً عن الحديث:

إن أم سلمة لم تكن لتذكر ذلك الحديث إلا لأجل أن تذكّر المسلمين أن ولد النبي صلى الله عليه وآله سوف يقتل وهذا مدعاة للإساءة والظلم الذي ألم به صلى الله عليه وآله. ولذا ينبغي على كل مسلم أن يتألم لمصاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حباً له صلى الله عليه وآله واحتراماً ومؤاساة لما قدمه ذلك السبط الشهيد عليه السلام.

ثم إن الحديث الشريف ليس بأول رؤيا تشهدها أم سلمة بل هو تصديق لما قاله صلى الله عليه وآله لما قالت: (كان جبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين معي، فبكى فتركته، فدنى من رسول الله صلى الله عليه وآله فقمت فأخذت فبكى فتركته، فدخل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال جبريل عليه السلام: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها)[٥].

## حديثان:

ذكر الترمذي أن هناك حديثين قد تشابها في المشهد المؤلم. وذلك فقد ذكر أنس بن مالك قال: كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين فجعل يضرب بقضيب له في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً. قال: قلت: أما إنه كان من أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

وقال عمارة بن عمير: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً[٧].

## إيضاح:

إن هذين الحديثين يدلان على أن جزاء السيئة سيئة مثلها. ولذا فإن عبيد الله بن زياد حينما قضى على الإمام الحسين بن علي عليهما السلام بأبشع صورة حيث لم يكتفِ بالقتل وإنما قطع رؤوس المقاتلين مع الحسين عليه السلام

وجعل يستهزئ بهم. فنال عبيد الله حظه من الدنيا الدنية حتى إذا دنا أجله كانت عاقبة أمره خسراً فسلط تعالى عليه من يقضي عليه فقطع رأسه.

ثم إن عبيد الله بن زياد قد أقر على نفسه أن الإمام الحسين بن علي عليه السلام هو شبيه المصطفى صلى الله عليه وآله فهو يمثل الامتداد الطبيعي له فهو ابن بنته عليها السلام. فهو قد دل على نفسه بعظم الجريمة التي قضى على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من خلال ولده. لكن شتان بين ابن الرسول صلى الله عليه وآله وبين ابن زياد.

## هدف الترمذي:

قد يستفهم المرء عن مدى الأهداف التي ذكر منها الحديثان؟ لعل من الأهداف المهمة وهي إظهار مدى إنكار المسلمين لما فعله عبيد الله بن زياد في حق الإمام الحسين عليه السلام لأنه من الأمور المنكرة أن يقتل المسلم أخاه المسلم. فكيف وقد قتل ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله؟! كما أن من الأهداف المهمة التي ذكرها الترمذي هو مدى الانحطاط الذي وصل إليه المتسلطون على الإسلام بحيث يقطعون الرؤوس بعدما كانت على الأجساد.

أما الهدف الرئيسي من بيان قطع رؤوس ابن زياد وأصحابه عند الترمذي فهو أن هنالك جباراً لا يغفل عن شيء ولذا فإن القرآن الكريم ينبه إلى هذه الحقيقة حينما ذكر: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً**﴾.

ولعل ما ناله من دخول الحية في منخريه دليل الخزي والعار الذي ناله في دار الدنيا والآخرة أشد عذاباً وأبقى.

## الترمذي والحب الحسيني:

ذكر الترمذي في سننه أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قال: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط)[٨]. حيث أظهر الحديث عظمة هذه الشخصية السامية لما تمثله من رمز من الرموز الشامخة في الإسلام التي كان لها الأثر في اعتدال الدين بعد ما آل إلى الانحراف من جراء سياسات المتسلطين على رقاب المسلمين وهم يدعون الدفاع عن الدين وحرمة المسلمين.

إن الحديث الشريف أزاح الستار عن حقيقة ينبغي الاعتراف بها، ألا وهي أن كل من يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وما يمثله من إنقاذ - بعدما كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم بتعاليمه - ينبغي أن يؤمن بالإمام الحسين عليه السلام وما يفعله في سبيل أمته من نضال وجهاد.

ولذا فإن كل ما يفعله أو ينقله هو تعبير عن السماء كي تنقذ البشرية من الفساد وإشاعة روح المحبة والتسامح والعدل في أرجاء المعمورة.

وقد يكون هنالك غاية أخرى للنبي صلى الله عليه وآله حينما قال: (وأنا من حسين...) وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله حينما يرحل إلى الرفيق الأعلى ينبغي أن تستمر هذه المسيرة الخالدة، فكان الإمام الحسين عليه السلام هو الذي يدافع عن مبادئ دين جده وكأنما قد أحيا جده من جديد وهو ينقل لهم تعاليمه وأخلاقه الكريمة كي تنهج البشرية أثره ولا تغفل عن ذلك.

## حب الحسين عليه السلام حب لله تعالى:

لماذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله أن كل من أحب

الإمام الحسين بن علي عليه السلام فقد أحبه الله تعالى؟ هل إشفاقاً عليه لأنه ابن بنته فاطمة الزهراء عليها السلام أم لشيء آخر؟

إن المحبة تارة تكون لأجل الإشفاق على المحب وهذه لا خير فيها إن كانت هنالك علاقة حميمة. وأخرى لبيان أهمية تلك الشخصية كي لا تتغافل عنها الشعوب أو لا تعبأ بها.

وحديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ليس من الأول ولا من الثاني، وإنما الأهمية تكمن في أن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام مؤهل لأن يكون صاحب الشرف والسمو في الإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله قد ذكر ذلك كي يوضح أن كل من يحبه فقد أحب الله تعالى والقرآن الكريم يقول ﴿... **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**...﴾ وهذا لا شائبة فيه من ناحية أن محبة الإمام الحسين عليه السلام والسير على خطاه إنما يمثل حياة لدين الإسلام.

## الإمام والسبط:

إن الترمذي ذكر أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: (حسين سبط من الأسباط) ما المقصود منها؟ ألا يعرف المسلمون أن الإمام الحسين عليه السلام من أولاد ابنته سيدة نساء العالمين عليها السلام أم إن هناك معنى آخر؟

إن هذا الحديث لا يحتاج إلى أن يذكِّر النبي صلى الله عليه وآله أمته أن الإمام الحسين عليه السلام من أولاد ابنته عليها السلام وهذا واضح لكل المسلمين خصوصاً وأنه صلى الله عليه وآله كان يحبه ويحنو عليه وعلى أخيه الإمام الحسن عليه السلام ويقول عنهما: (هما ريحانتاي من الدنيا)، إن كل هذا العطف كان يستشعر به المسلمون ليلاً ونهاراً. إلا أن هذا الحديث قد يراد منه أن الإمام الحسين عليه السلام من أولاد نبي الله إسماعيل عليه السلام ذاك ذبيح الله تعالى فهو امتداد لتلك السلالة الطاهرة التي طهرها تعالى من الرجس تطهيرًا. فتستحق التبجيل والاحترام وامتثال أوامره كي تنجو الأمة الإسلامية من العذاب الأليم الذي سيحلُّ بها إذا خالفت تعاليمه.

ولعل غفلة المسلمين عن هذه الخلّة واعتبار الإمام الحسين عليه السلام من أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام الذي وتر الكافرين في سوح الوغى حتى لم يبق له صديق سوى الحق والعدل، ولذا من الواجب على الأمة الإسلامية أن تحترم هذه الشخصية لأنها دافعت عن الإسلام وسعت دوماً إلى إنقاذه من الهلاك وقدمت نفسها قرباناً لله تعالى.

كما تحترم كل ما قدمته ولا تثير الشكوك حول قضيته العادلة لئلا يوجب ذلك إنكاراً للعدل والحق. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ■

**الهوامش:**

(١) تهذيب سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١ ص٥٢٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ص٩١٣، ٩١٤ ح٣٧٧١.
(٥) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازلي ص:٣١٨.
(٦) المجالس الفاخرة، عبد الحسين شرف الدين، ص٤٠-٤١.
(٧) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ص٩١٥ ح٣٧٧٨.
(٨) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ص٩١٥ ح٣٧٨٠.
(٩) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ص٩١٤ ح٣٧٧٥.

# هل كان زهير بن القين عثماني الهوى؟!

• محمد جعفر صادق القاضي

**ينابيع** غير خاف على أحد ما لمكانة الحسين عليه السلام وثورته، من أثر خاص في سير تأريخ التشيع، وبيان أهدافه، وتوضيح سبله. ولا يخفى أيضاً ما جناه التشيع بصورة خاصة والإسلام بصورة عامة من ثورته عليه السلام من أهداف سامية، وثمرات جليلة، تبقى مدى الزمان.

غير أن شرذمة حاقدة من الناس، حاولت التقليل من شأنها؛ لأنها بينت زور خلافة أسلافهم الأمويين، فطفقت تتعتع وتتلعثم، محاولة إلصاق بعض الأمور بثورته عليه السلام، مما يقلل من شأنها. وهم مائنون في نقلهم، كاذبون في أخبارهم.

ومن جملة ما ألصق، بأحد أنصار الحسين عليه السلام المرموقين، وأحد ثقاته، والذي جعله الحسين عليه السلام على الميمنة، وممن فاز بالكأس الأوفى، والقدح المعلى، ونال السعادة الأبدية، أنه عثماني الهوى لا يرى رأي أهل البيت عليهم السلام، ومن المتعصبين لعثمان والموافقين لبني أمية في طلبهم بثأره، وأنه تغير فجأة عندما طلب منه الحسين عليه السلام نصرته لتذكره مقامه ومواقف رسول الله صلى الله عليه وآله منه!!.

إنه: زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي.

## من قال بعثمانيته؟!

لعل أقدم المصادر التي ذكرت أنه عثماني الرأي هي تأريخ الطبري، وأنساب الأشراف للبلاذري.

فروى الأول عن (أبي مخنف عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري قال: لما قبض شمر بن

ذي الجوشن الكتاب... فقال عبد الله بن أبي المحل بن حزام.. أصلح الله الأمير إن بني أختنا مع الحسين فإن رأيت أن تكتب لهم أمانًا فعلت، قال نعم ونعمة عين... - ثم ذكر كيف رفض العباس وإخوته الأمان، وأمر عمر بن سعد بعد ذلك بالزحف نحو معسكر الحسين عليه السلام إلى أن يذكر قول الحسين عليه السلام لأخيه العباس: يا عباس اركب، بنفسي أنت يا أخي، حتى تلقاهم فتقول لهم ما لكم وما بدا لكم وتسألهم عما جاء بهم.

فأتاهم العباس عليه السلام فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس عليه السلام: ما بدا لكم وما تريدون؟

قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم.

قال عليه السلام: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله عليه السلام فأعرض عليه ما ذكرتم. قال: فوقفوا ثم قالوا: القه فأعلمه ذلك ثم القنا بما يقول.

قال: فانصرف العباس عليه السلام راجعاً يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم.

فقال له زهير: أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم.

فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه صلى الله عليه وآله وعترته وأهل بيته عليهم السلام، وعُبّاد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً.

فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت.

فقال له زهير: يا عزرة! إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس

الزكية.

قال: يا زهير! ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت؛ إنما كنت عثمانياً!!

قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم؟! أما والله ما كتبت إليه كتابًا قط، ولا أرسلت إليه رسولاً قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه. فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه، حفظًا لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله)[1].

وروى أيضاً عن أبي مخنف عن السدي عن رجل من بني فزارة قال: (لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين التي أقطعت بعد زهير بن القين من بني عمرو بن يشكر من بجيلة، وكان أهل الشام لا يدخلونها فكنا مختبئين فيها. قال: فقلت للفزاري: حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي. قال: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نساير في منزل، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدم زهير. حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدًّا من أن ننازله فيه فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب)[2].

أما البلاذري فقال: (قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكّة ـ وكان عثمانياً ـ فانصرف من مكّة متعجلاً فضمّه الطريق وحسيناً، فكان يسايره ولا ينازله، ينزل الحسين في ناحية وزهير في ناحية، فأرسل الحسين عليه السلام إليه في إتيانه، فأمرته امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى فقالت: سبحان الله!! أيبعث إليك ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تأتيه؟!! فصار إليه. فلمّا صار إليه ثمّ انصرف إلى رحله، قال لامرأته: أنت طالق. فالحقي بأهلك فإني لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خير. ثم قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني فليتبعني وإلّا فإنه آخر العهد. وصار مع الحسين عليه السلام)[3].

غير أنا نقول: بأن هذا الكلام لا يصح، لما يلي:

## التخليط في رواية الطبري:

أولاً: بالنسبة إلى رواية الطبري التي تنص على أن زهيراً كان يساير الحسين عليه السلام من مكة، وكان لا ينزل في المنزل الذي ينزل فيه الحسين عليه السلام لا تصح أبداً.

فهي فضلاً عن ضعف إسنادها بروايتها عن رجل من بني فزارة غير معروف الاسم ومجهول الحال، فإن متنها مخالف للنصوص التاريخية.

إذ لا يمكن لأن يكون زهير قد ساير الحسين عليه السلام من مكة، وذلك لأن المشهور أن الحسين عليه السلام قد خرج يوم التروية أي في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، وزهير قد أكمل موسم الحج قبل خروجه، فعلى أقل تقدير يفترض أن يكون خروجه من مكة في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، أي إن الحسين عليه السلام قد سبقه بخمسة أيام!!.

وحتى لو قلنا بأن زهيرًا قد خرج (متعجلاً) كما نصت على ذلك رواية

البلاذري، فإن الحسين عليه السلام قد خرج يجد السير أيضاً، ولا يلوي على شيء.

فمن هنا يتضح بأن زرود هو أول منزل نزل فيه زهير والحسين عليه السلام، وبعبارة أدق: هو أول منزل اجتمع فيه مع الحسين عليه السلام من يوم خروجه من مكة بعد أن تعجل بالسير، لكونه المنزل الوحيد الذي يمكن أن يجتمعا فيه بعد إسراعه. وليس كما قالت الرواية بأنه قد فرض عليه أن ينزل في نفس منزل الحسين عليه السلام.. فلاحظ.

## رواية الطبري الأخرى تكشف عن عدم كونه عثمانيا:

ثانياً: في رواية الطبري الأولى التي تذكر المحادثات التي جرت بين أصحاب الحسين عليهم السلام، وبين أصحاب عمر بن سعد (لعنه الله)، دليل واضح على أن زهيرًا لم يكن عثمانياً.

فتأمل في جواب زهير رضي الله عنه لعزرة: (أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم؟!) فإن فيه نفي ضمني للتهمة التي أُلصقت به في كونه عثماني المعتقد.

وبعد هذا، فإن سكوت عزرة يدل على ظهور كذبه، وكذب التهمة التي نفاها زهير عن نفسه. وقد عيره فيما بعد بمكاتبته للحسين عليه السلام ثم الخروج ضده، فكأنما أُلقم حجراً.

## لم يرد في ترجمة زهير ما يشعر بعثمانيته:

ثالثاً: إن من الملاحظ أن زهيرًا في حياته وترجمته التي ذكروها لم يرد له موقف واحد تجاه البيت العلوي الطاهر عليهم السلام، ولا موقف واحد يدل على تأييده لسياسة عثمان، بل على الأقل سياسة الأمويين وأحقيتهم في الطلب بثأره.

مع أنا نرى أن كل من كان عثماني الهوى قد كان له موقف مشهور يذكر في كتب التأريخ، فهل لزهير موقف مشهور، أو موقف فيه إشعار أو إشمام ـ ولو من بعيد ـ على كونه عثمانياً؟! هذا ما لم يرد في كتب التأريخ بتاتاً!!

## ماذا عند ابن أعثم؟:

رابعاً: فإن ابن أعثم الكوفي والذي تعاصر مع الطبري والبلاذري قد ذكر الخبر ولم يذكر أنه كان عثمانياً أو أنه امتنع عن نصرته فقال: (ثم مضى الحسين فلقيه زهير بن القين، فدعاه الحسين إلى نصرته فأجابه لذلك، وحمل إليه فسطاطه، وطلق امرأته وصرفها إلى أهلها، وقال لأصحابه: إني غزوت بلنجر مع سلمان الفارسي، فلما فتح علينا اشتد سرورنا بالفتح فقال لنا سلمان: لقد فرحتم بما أفاء الله عليكم

قلنا: نعم.

قال: فإذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه وآله فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه منكم بما أصبتم اليوم.

فأنا أستودعكم الله تعالى، ثم ما زال مع الحسين حتى قتل..)[٤].

فأين العثمانية؟! وأين الامتناع عن النصرة؟!

## كلمات زهير وزوجته تكشف عن صلابة الإيمان:

خامساً: فإن كلمات زهير بن القين تكشف عن صلابة إيمانه، وحسن عقيدته فانظر قوله لزوجته: (عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي)

فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك أسالك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام[٥]. فقال لأصحابه من أحب أن يصحبني وإلا فهو آخر العهد مني به[٦].

فلاحظ كلماتهم، فإنها تكشف بين طياتها أنهم كانوا على علم ويقين بأن الحسين عليه السلام سيقتل، وأن زهيراً سيستشهد معه.

وينبغي ألا ينسى أن هذا الكلام قد جرى قبل أن يصل إلى الحسين عليه السلام خبر مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، وقبل أن يتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً، فما أدراهم بهذا؟!

وإذا قلنا أنهم سمعوا أن الحسين عليه السلام سيقتل بأرض يقال لها كربلاء من أمير المؤمنين عليه السلام أو من الحسين عليه السلام نفسه، فإن هذا يدل على أنهم على قرب من البيت العلوي الطاهر عليهم السلام، ويعرفون ما سيجري عليهم، فأين العثمانية المزعومة؟!

أضف إلى ذلك ما روي في أسرار الشهادة: (قيل: أتى زهير إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل قبل أن يقتل فقال: يا أخي ناولني الراية.

فقال له عبد الله: أوفيً قصور عن حملها؟!

قال: لا، ولكن لي بها حاجة.

قال: فدفعها إليه. وأخذها زهير وأتى فجاء إلى العباس بن علي عليه السلام وقال: يا بن أمير المؤمنين أريد أن أحدثك بحديث وعيته.

فقال: حدث فقد حلا وقت الحديث.

**حدث ولا حرج عليك فإنما تروي لنا متواتر الإسناد**

فقال: اعلم يا أبا الفضل أن أباك أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد أن يتزوج أم البنين بعث إلى أخيه عقيل، وكان عارفاً بأنساب العرب. فقال عليه السلام: يا أخي أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة، لكي أصيب منها ولداً شجاعاً، وعضداً ينصر ولدي هذا - وأشار إلى الحسين عليه السلام - ليواسيه في طف كربلا، وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن أخواتك..)[٧].

فإنه لو صح هذا الحديث فهو يكشف عن قربه الشديد من البيت العلوي عليهم السلام، ومعرفته بأخبارهم، ووعيه لهم.

فإننا بعد هذا كله، نستبعد كثيراً كون زهير عثماني الهوى في بداية حياته، والله سبحانه وتعالى العالم.

فسلام على زهير بن القين يوم ولد، ويوم جاهد بين يدي أبي عبد الله عليه السلام، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً. ورزقنا الله زيارته مع إمامنا الحسين عليه السلام في الدنيا، وشفاعتهم في الآخرة. آمين رب العالمين ■

**الهوامش:**

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٤.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٨.
(٣) أنساب الأشراف ٣: ٣٧٨ - ٣٧٩.
(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٢٣.
(٥) اللهوف: ٤٤
(٦) أنساب الأشراف ٣: ٣٧٨ – ٣٧٩، اللهوف: ٤٤.
(٧) عنه في الأنوار العلوية: ٤٤٣، ومقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٢٠٩.

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
السلام على قتيل الأدعياء السلام على مزكمة ملائكة السماء السلام على الدماء السائلة

## مجلة (ينابيع) تعتمد دولياً

اعتُمدت مجلة ينابيع الصادرة عن (**مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية**) في مدينة النجف الأشرف لدى المركز الدولي لتسجيل المطبوعات المسلسلة التابع لمنظمة اليونسكو برقم:

(ISSN 2305-591X )

أسس المركز الدولي للمطبوعات عام ١٩٤٥ ويضم ١٤٩ دولة عضوًا فيه ومقره باريس.

يتعاون هذا المركز مع الدول الأعضاء فيها لتحديد أرقام تعريف للمطبوعات المسلسلة، ولتشجيع هذه العملية التي تتيح تيسير الانتفاع بالمراجع المسلسلة، سواء أكانت متاحة بشكل مطبوع أم غير مطبوع، عن طريق تخصيص رقم تسلسلي فريد لكل منها.

ويقدِّم المركز إلى الدول الأعضاء فيه، من خلال شبكة المراكز الوطنية التابعة له وما يوفره من خدمات إمكانية الانتفاع بمعلومات جيدة تتعلق بالمطبوعات المسلسلة المتوافرة في شتى أنحاء العالم.

وتجدر الإشارة إلى أن الأنشطة التي يضطلع بها المركز الدولي لتسجيل المطبوعات المسلسلة تدعم الجهود المبذولة في إطار اليونسكو وبرنامج المعلومات للجميع فيما يخص الصون الرقمي.

# مسابقة العدد (٤٨)

**١** يزيد بن ثبيط العبدي من أنصار الحسين عليه السلام، التحق بمعسكر الحسين عليه السلام في كربلاء وقدم من البصرة مع أولاد له وكانوا يجتمعون في دار مارية بنت سعد لمداولة قضية نصرة الحسين عليه السلام، فكم ولد من أولاده التحق به واستشهد معه في كربلاء؟

أ ـ واحد. ب ـ اثنان. ج ـ ثلاثة.

**٢** من أنصار الحسين عليه السلام، سار حتى انتهى إلى المعسكر فوجد المعركة قد انتهت. واستشهد الإمام الحسين عليه السلام فأسرع ودخل عسكر عمر بن سعد ثم انتضى سيفه وقاتل حتى قُتل، فمن هو؟

أ ـ سيف بن مالك العبدي. ب ـ علي بن مظاهر الأسدي.

ج ـ الهفهاف بن المهند الراسبي.

**٣** قال زهير بن القين لأصحابه: «**قال لنا سلمان الفارسي إذا أدركتم سيد شباب آل محمد صلى الله عليه وآله فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم**»، فأين قال سلمان هذه المقالة؟

أ ـ في غزوة بلنجر. ب ـ في غزوة نهاوند.

ج ـ في غزوة الجوزجان.

**٤** **يا ناقتي لا تذعني من زجري**
**وامضِ بنا قبل طلوع الفجر**
**بخير فتيان وخير سَفْر**
**آل رسول الله أهل الفخر**

نشيد طوّح به دليل الركب الحسيني الطرماح بن عدي الطائي فما معنى كلمة الطرماح؟

أ ـ الطويل. ب ـ القوي. ج ـ المتكلم.

كوبون المسابقة

ينابيع

٤٨

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

| جواب السؤال الأول | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الثاني | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الثالث | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الرابع | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

## كوبون المسابقة

**جوائز المسابقة**

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

**شروط المسابقة**

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ربيع ١/ ١٤٣٤هـ.

| جواب السؤال السابع | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال السادس | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال التاسع | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الخامس | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الثامن | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

**٥** استأذن حبيب بن مظاهر الأسدي من الإمام الحسين عليه السلام في مكالمة بني أسد الذين ينزلون بالقرب من كربلاء، فاستجاب له عليه السلام مجموعة منهم، وفيهم:

أ ـ عبد الله بن بشر الأسدي. ب ـ إسحاق بن بشر الأسدي.

ج ـ خزيم بن بشر الأسدي.

**٦** «**أكلتني السباع حياً إن فارقتلك**» جواب رد به محمد بن بشر الحضرمي على الإمام الحسين عليه السلام عندما طلب منه أن يعمل في فكاك أسر ابنه، فأين أسر ولده؟

أ ـ ثغر الروم. ب ـ ثغر الري. ج ـ ثغر سمرقند.

**٧** «**يا مولاي من الذي يختار النار على الجنة، فوالله ما أفارقك حتى ألقى حِمامي بين يديك**»، كلام توجه به شخص إلى الإمام الحسين عليه السلام، فمن هو؟

أ ـ مبعوث عمر بن سعد. ب ـ الحر بن يزيد الرياحي.

ج. المهاجر بن أوس.

**٨** من زوجات الإمام الحسين عليه السلام، ولدت له ابنته فاطمة، كانت زوجة للإمام الحسن عليه السلام، فلما توفي أوصى أخاه الحسين عليه السلام أن يتزوجها فمن تكون؟

أ ـ خولة بنت منظور. ب ـ أم إسحاق بنت طلحة.

ج. سلمى بنت أمرؤ القيس.

**٩** مررت على قبر الحسين بكربلا
ففاض عليه من دموعي غزيرها
ومازلت أبكيه وأرثي لشجوه
ويسعد عيني دمعها وزفيرها

أبيات من قصيدة يُعد قائلها أول من رثى الحسين عليه السلام، فمن هو؟

أ ـ عقبة بن عمر السهمي. ب ـ سليمان بن قتة.

ج ـ عبيد الله بن الحر الجعفي.

لا يوم من لا يُطاع

المرقد المقدس للإمام الحسين عليه السلام من جهة باب القبلة في سبعينيات القرن الماضي

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية